

تصوير وإعداد :
سلسلة عصر الاستيقاظ



أسامة

سقوط أمريكا و الغرب و البديل الإسلامي

مؤسسة استراتيجيا
للنشر والتوزيع والترجمة

فتحى تنهاب الدين
مدير مركز راية للبحوث و الدراسات السياسية

سقوط أمريكا والغرب.. والبديل الإسلامي

تأليف

فتحي شهاب الدين

مدير مركز راية للبحوث والدراسات السياسية

تقديم

عبد المنعم سليم جبارة

رحمه الله



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

بطاقة الفهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب

شهاب الدين ، فتحي

سقوط أمريكا والغرب.. والبديل الإسلامي تأليف/فتحي شهاب الدين

ط ١ - القاهرة : مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١١

(١١٢ ص)، ٢٠ سم تدمك: ١-٨٤٩-٤٤١-٩٧٧-٩٧٨

١ - الإسلام والحضارة

٢١٤.٣٠١٢

١. العنوان

رقم الإيداع: ٢٠١١/٩٨١١ م

مؤسسة اقرأ

للنشر والتوزيع والترجمة

الإدارة: ١٠ ش أحمد عمارة بجوار حديقة القسطنطين

ت: ٢٥٣٢٦٦١٠ محمول: ٠١٥٢١٢٠٢٤٧٢

مكتبة اقرأ - الأزهر: ش البيطار خلف الجامع الأزهر

ت: ٢٥١٤٢١٦٧ محمول: ٠١١٥٠٣٣٦٧

مكتبة اقرأ - جامعة القاهرة: ٤ ش حلمي بين السرايات مطلع كوبري ثروت

ت: ٣٧٦٠٤٨٩٦ محمول: ٠١١٥٠٣٣٦٨

www.Iqraakotob.com

E-mail: iqraakotob@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

إهداء

* إله الباحثين في دياجير الظلام عن قبس من نور..

* إله الملايين الحيارى من الشباب المسلم

الباحث عن حل المنقب، عن مخرج من
هذه الأزمة الطاحنة..

* إله الألوفا المؤلفة من المتعلمين والمثقفين

الباحثين عن ثغرة يسدونها في خدمة هذه
الأمة..

* إله أصحاب العقول النيرة والبصائر المستنيرة

نقدم هذا الكتاب.

تقديم

كثيرون لم يكونوا يتوقعون انهيار الاتحاد السوفيتي بهذه السرعة وبهذا الشكل، بل إن فريقاً من المتابعين والمراقبين ظن في ظل الستار الحديدي المفروض حول الاتحاد السوفيتي السابق، والذي أدى إلى حجب جانب كبير من الحقائق - أن انهيار الاتحاد السوفيتي غير محتمل. الذين ألبوا بالخواء الفكري الذي أفرز النظرية الماركسية، والخلل الفكري الذي تفترض عليه النظرية ومخالفاتها مع فطرة الإنسان وحاجاته وطاقاته وقدراته، وتصادمها مع نوااميس الكون والخلق التي تعد بمثابة الضوابط التي تعصم من الخلل، وتضمن سلامة الدور البشري على المستوى الحضاري والإنساني الصحيح - توقعوا انهياراً للاتحاد السوفيتي، وإن اختلفت التقديرات الزمنية..

إن الإنسان روح ومادة ولكل إمكاناته وطاقاته وحاجاته.. وتغليب جانب على الآخر يعني الخروج عن الطريق الصحيح في انحدار واضطراب يجرمان الإنسان من الأمن والاستقرار، ويدفعانه إلى الاستسلام أو التمرد.

التوقعات التي دارت وطرحت على مساحات من المتابعين والمراقبين بشأن انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وإفلاس أو انهيار الماركسية - جرى ويجري طرح مثلها، بل وأكثر بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية؛ الرأس مالية وجنتها الوارفة كما يحلو للمخدوعين أن يعرفوها.

وهي أيضًا توقعات بالانهيار تنهض على منطق علمي وأسباب علمية، كما تعرض في الواقع الأمريكي دونها زخارف أو طلاءات للتقويم ومعرفة ما تحت السطح وما خلف وسائل التجميل والتزيين. ومن ثم لم يكن غريبًا أن نتنبأ توقعات بانهيار أمريكي ليس على مستوى دول أو دويلات كما حدث بالنسبة للاتحاد السوفيتي السابق ولكن على مستوى المدن، وقد طالعنا دورية مجلة من المجلات العالمية الصادرة عن الاستعلامات المصرية بموجز لدراسة أعدها أحد الباحثين الأمريكيين حول تراجع أمريكا إلى مستوى الدول النامية في أقل من عشرين سنة، وقد أسند ذلك إلى كثير من الآفات التي تنخر في الجسد الأمريكي والأمراض التي تعشش في الحياة الاجتماعية الأمريكية والاقتصاد الأمريكي..

والدراسة التي يقدمها / **فتحي شهاب** .. تتعرض لكثير من الدراسات التي طرحت حول الواقع الأمريكي، واستند إلى جانب

تحليلي يفند العديد من المعلومات والحقائق، وأيضًا المراجع ذات الأهمية.

وتبقى بعد تجربة الاتحاد السوفيتي السابق وانهيار النظرية الماركسية والتوقعات بانهيار أمريكا - حقيقة أن نقول: إن أي مجافاة للفترة الإنسانية التي خلق الله الإنسان عليها، وأي تعارض مع نوااميس الكون الإلهية التي تنظم الحركة خلاله في إطارها، وأي خروج على النظام الإلهي أو المنهج الإلهي الذي أنزله للبشر كي يحيا وينعموا بالسعادة في إطاره.. لا يعنى فقط الانهيار.. ولكن يعنى الهلاك المؤكد.

وصدق الله العظيم: ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧].

عبد المنعم سليم جبارة

رحمه الله

مقدمة

الحضارة كالبشر فيها الخير والشر، وفيها الفضيلة والرذيلة والحق والباطل، وأسوأ ما في الحضارة الغربية الاستعلاء والتسلط والعنصرية والأنانية والظلم، وهي الجراثيم التي تنخر في عظام الحضارة الغربية وتهدد بزوالها.

إن كل حضارة تحمل في أحشائها بذور فنائها، فتندثر لتحل محلها حضارة جديدة لها قيم وروح ومبادئ ومفاهيم، وما تاريخ البشرية إلا سلسلة متعاقبة من الدورات الحضارية.

والتنبؤ بانحيار الحضارة الغربية ليس وليد الساعة ولا من إرهابات المفكرين الذين يرقبون بقلق مظاهر الاحتضار في جسدها، ففي مطلع القرن العشرين تنبأ الفيلسوف الألماني «شبنجلر» بالمصير المظلم الذي ينتظر الحضارة الغربية، وسجل ذلك في كتابه الضخم «أفول الغرب»، الذي يوصف بأنه أعظم مؤلف ظهر في النصف الأول من القرن العشرين، والذين قرءوا كتاب «صراع الحضارات» لصموئيل هنتجتون يدركون تمامًا أن الغرب يتوقع نهايته قريبًا، بل ويرشح

الحضارة الإسلامية بديلاً له، وهذا ما دعا «هنتجتون» أن يتساءل في صراحة تامة:

هل ينجح الغرب في التغلب على العلل والأسقام التي ستؤدي إلى تأكيد التفوق الأخلاقي للمسلمين وتغلبهم على الحضارة الغربية؟ ونحن بدورنا نتساءل: هل المسلمون مرشحون حقاً كبديل لحضارة الغرب؟ هذا ما سوف نتناوله على صفحات هذا الكتاب.

المؤلف

فتحي شهاب الدين

مدير مركز راية للبحوث

والدراسات السياسية



الأفول الحضاري للغرب

الحقيقة التي لا ينكرها منصف أن قيادة العالم اليوم بيد الحضارة الغربية.

إن الحضارة الغربية بشقيها نمت وأنجبتها رحم واحدة، وهي وجهان لعملة واحدة؛ لأن مجموعة التصورات والقيم والمنطلقات فيها واحدة، وموقف الإسلام من تلك الحضارة بوجهيها واحد؛ لأنها من مشكاة واحدة لا أصل لها في الثبات، لأن الإنسان بقدراته المحدودة هو الذي شاد صرح هذه الحضارة بمعزل عن منهج الله عز وجل؛ ولأن الكوارث التي حلت بالبشرية حين تنكبت جادة الصواب لم تقتصر على واحدة من أجنحة هذه الحضارة؛ لتكون برهاناً على صحة مبادئ الأخرى.

هذه الحضارة التي كانت تبدو خلال عقود خالية قوية متماسكة تهفو القلوب إليها، وتفتن الأنظار بمنجزاتها المادية - بدأت تكشف عن عيوب وأمراض كثيرة، وأصبحت عاجزة عن إخفاء آثار التآكل التي شدت إليها أنظار العقلاء من أبناء تلك الحضارة، فعَلَّت أصواتهم معلنة أن نجمها بدأ يهوى، وأن الحضارة الغربية التي خيل البعض

خلودها آيلة للسقوط بعد أن أصبحت تنوء بمشكلات لا قبل لصناع تلك الحضارة بمعالجتها.

لقد نمت شجرة الحضارة الغربية في تربة مادية، وكانت أول ثمارها الإيجابية هي تقدم العلوم الطبيعية والاختراعات التكنولوجية التي لم تر البشرية مثلها.

أما الثمار المسمومة، فكانت ذلك الضياع القاتل الذي يحاول أبناء الحضارة المادية الهروب منه بعد أن عجزت كل الثمار الإيجابية عن تحقيق طموحاتهم.

لقد نما العقل وتضخم على حساب الروح التي ضمرت وانكششت حين عجزت حضارة المادة عن تحقيق أشواقها وطموحاتها، صحيح أن البشرية أحرزت انتصارات ضخمة في عالم الصحة والعلاج، وحققت ما يشبه الخوارق في عالم الصناعة والإنتاج، وانتصارات باهرة في كشف الفضاء والأقمار الصناعية، ولكن ما أثر هذا كله في حياتها النفسية؟

هل وجدت السعادة والطمأنينة والسلام؟.. لقد وجدت الشقاء والقلق والخوف؛ لأنها لم تتقدم في تصور أهداف الحياة الإنسانية وغاية الوجود الإنساني تقدمها في مضمار الحضارة المادية، وحسبها الرعب والفرع اللذان تعاني منهما من مثل الرعب النووي أو مرض (الإيدز). تلك هي الحضارة التي نمت في منبت السوء فأنت ثمارها مرة

حنظلاً، وها هي الأصوات اليوم تتعالى من هنا وهناك مُنذرة بسوء مصير البشرية في ظل حضارة خاوية من الإيمان خواءها من الروح الإنسانية.

صیحات الخطر:

تتعالى الصرخات من أبناء هذه الحضارة الذين أدركوا خطورة انحدار البشرية إلى الهاوية في ظل معطيات تلك الحضارة؛ متنبئين بسقوطها بعد أن أصبحت على شفا جرف هار، فهذا (الكسيس كاريل) في كتابه «الإنسان ذلك المجهول» يدين الحضارة المادية ويرى أنها وليدة خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم، وأن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجهاد لم تجن منه البشرية سوى القلق والهموم، فيقول:

«حقيقة الأمر أن مدينتنا مثل المدينيات التي سبقتها، أوجدت أحوالاً مُعينة للحياة من شأنها أن تجعل الحياة نفسها مستحيلة، وذلك لأسباب لا تزال غامضة. إن القلق والهموم الذي يعاني منها سكان المدن العصرية يتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية».

ويتساءل عن جدوى الحضارة التي لا تجلب إلا الشقاء والتعاسة والانحطاط الخلقي فيقول: «إذن، ما جدوى الراحة والفخامة والجمال وأسباب تعقيد حضارتنا إذا كان ضعفنا يمنعنا من الاستعانة بها فيما يعود علينا بالنفع؟ حقاً إنه لما لا يستحق أي عناء أن نمضي في تجميل

طريق حياة تعود علينا بالانحطاط الخلقي، وتؤدي إلى اختفاء أنبل عناصر الأجناس الطيبة».

والمستر (دالاس) وزبر خارجية أمريكا الأسبق أثار في كتابه «حرب أم سلام» إلى الخلل القائم في الحضارة الغربية قائلاً: «إن هناك شيئاً ما يسير بشكل خاطئ في أمتنا، وإلا لما أصبحنا في هذا الحرج وفي هذه الحالة النفسية».

وهو يرى أن التقدم المادي والمبالغة في وصف معطيات الحضارة الغربية يقابلها الإفلاس الروحي الذي يشكو منه أبناء تلك الحضارة فيقول:

«ونستطيع كذلك أن نتحدث ببلاغة عن التقدم المادي الذي حققناه، وعن روائع الإنتاج الجماعي وعدد السيارات وأجهزة الراديو والتلفزيون التي يمتلكها أفراد شعبنا، ولكن المبالغة في وصف الماديات تعطي فكرة بأننا قد أفلسنا من الناحية الروحية».

ويرى أن الحضارة الغربية قد فقدت بريقها ولم يعد لديها ما تقوله للعالم الذي يبحث عن مخرج من عنق الزجاجة، فيقول: «لن تكون هناك فائدة من إنشاء (أصوات أمريكا) أخرى عالية الصوت، إلا إذا كان لدينا شيء نقوله يكون أكثر إغراء مما قيل حتى الآن».

إذا كان (كاريل) و(دالاس) يعلنان عن خيبة البشرية في ظل الحضارة الغربية؛ فإن الفيلسوف الإنجليزي الشهير (برتراند رسل)

يعلن عن اضطراب الحضارة الغربية إلى إخلاء موقع قيادة البشرية ونهاية تسلط الرجل الأبيض ممثل الحضارة الغربية على مصير البشرية، فيقول:

«لقد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض، وبقاء تلك السيادة إلى الأبد ليس قانوناً من قوانين الطبيعة، وأعتقد أن الرجل الأبيض لن يلقى أياماً رضية كذلك التي لقيها خلال أربعة قرون».

وليس الرجل الأبيض إلا رمزاً للحضارة الغربية التي بدأ أفول نجمها، ويتحدث (رسل) عن شقاء الإنسان في ظل الحضارة الغربية المادية، فيقول:

«إن حيوانات عالمنا يغمرها السرور والفرح. على حين كان الناس أجدر من الحيوان بهذه السعادة، ولكنهم محرومون من نعمتها في العالم الحديث، واليوم أصبح من المستحيل الحصول على هذه النعمة والسعادة».

وهذا (دنيس دورجمون) من غلاة المدافعين عن الشخصية الأوربية، ومن أشد المتفائلين باستمرار الحضارة الغربية إلى الأبد؛ يشكو من الأصوات التي تعلن عن سقوط حضارته ويقرر أن القرن العشرين الذي شهد معالم الحضارة الغربية وسلطانها يمتد عبر الكرة الأرضية كلها ويحمل معها شرورها ومنتجاتها، ثم في حالات نادرة قيمها، ودائماً تفاهاتها - قد شهد في الوقت نفسه من القائلين بسقوط الحضارة الأوربية والمنتبئين به عدداً يتضاعف بصورة مستمرة.

وما يلفت النظر أن معظم المتنبئين أورييون. وهم بدلاً من أن يتحدثوا بإعجاب عن انتشار العبقورية الأوربية في العالم كله، وأن ينبهوا إلى أهمية هذا الانتشار - يفضلون الحديث عن كسوف الحضارة الأوربية.

أما (بول فاليري) الشاعر الفرنسي الذي كان له تأثير كبير في تيارات الفكر الأوربي، فقد هتف بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٩م بعبارته الشهيرة: «فمن الحضارات الأخرى نعرف الآن بأننا ميتون». ثم يضيف: «ولندرك الآن أن هوة التاريخ هي من الاتساع بحيث تستوعب العالم كله، نحن نشعر أن في الحضارة من الضعف والتهافت ما في حياة الفرد».

أما (فولني) وهو أحد رجال الفكر الأوربي، فقد ترك وراءه تأملات حول مصير الحضارة الغربية تلتقى مع وجهة (فاليري)؛ يقول: «ماذا أصاب تلك البدائع التي حققتها يد الإنسانية؟ أين هي حصون نينوى وجدران بابل وقصور برسيوليس؟ والمؤسف أنني زرت الأماكن التي كانت مسرحاً لكل هذه العظمة الرائعة، ثم لم أر غير الضياع والوحدة، وما يدريني لعل مسافراً مثلي في المستقبل يجد نفسه عند السين والتايمز يجلس باكياً فوق بقايا الفتات التي تحولت إليه معالم الحضارة الكبيرة حول هذه الأنهار».

(هيجل) الفيلسوف الألماني الذي سار الكثيرون على أثره في

تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة هو صاحب الفكرة القائلة بأن كل شعب هو (فرد في مسيرة التاريخ)، فهو بالتالي خاضع ككل فرد لقوانين النمو والازدهار ثم السقوط الحتمي، على أن هيجل في الوقت نفسه كان يظن أن الحضارة الأوربية هي قمة التاريخ التي ليست وراءها قمة، ولو حاولنا أن نطبق نظريته الجدلية في تعاقب الحضارات؛ لأدركنا أنها انتهت أو ستنتهي في المستقبل تحت ضغط القوانين الحتمية، بما فيها الحضارة الأوربية المعاصرة.

أما (كولن ولسون) فيعد كتابه «سقوط الحضارة» كتاباً جريئاً في نقد حضارة الغرب، وهو كتاب يتحدث صاحبه عن هدفه منه قائلاً: «يبدو أن الغرض من هذا الكتاب أن أقول شيئاً عن حاجة هذا العصر إلى دين جديد يلوح فيه أن الكنيسة قد فقدت كل صلة لها بالمشكلات التي تواجهها فيه».

ويرى (كولن ولسون) أن أية حضارة تصل لحظة أزمته يوماً ما، وأن الحضارة الغربية قد بلغت هذه اللحظة، وأن هذه الأزمة تهدد بالدمار أو بالسمو إلى أشكال أعلى، والمعروف حتى الآن أنه لم تواجه أي حضارة هذا التحدي إلا وكانت تخفق في مواجهته، والتاريخ هو دراسة للهياكل العظمية التي خلفتها الحضارات المخففة تماماً؛ كالهياكل العظمية التي خلفتها الحيوانات المنقرضة كالديناصور، ويقرر أن الدين

-وهو العمود الفقري للحضارة- قد تيسر في الكنيسة.

أما الفيلسوف الأمريكي الشهير (جون ديوي) فإنه يقول: «إن الحضارة التي تسمح للعلم بتحطيم القيم المتعارف عليها، ولا تثق بقدرة هذا العلم في خلق قيم جديدة - تدمر نفسها بنفسها».

وفي عام ١٩٧٠ م أصدر (دينه دويو) كتابه (An animal so Human) باللغة الإنجليزية، وقد عرّبه الدكتور نبيل الطويل باسم «إنسانية الإنسان». والمؤلف عالم ومحاضر شهير وحائز على عدة جوائز، منها جائزة نوبل. وقد وصفت جريدة (الأوبزرفر) اللندنية الكتاب بأنه «هجوم مدمر على المجتمعات الصناعية الاستهلاكية الحديثة واعتقادها المحزن بأن السبيل الوحيد للسعادة والغنى الحقيقي مرصوفة بسلسلة من التركيبات الاقتصادية والتقنية». يقول المعرب في مقدمة للطبعة العربية من الكتاب:

يوجه البروفسور (دويو) أقسى نقد لحضارة الغرب وأعنف هجوم على مجتمعاتها المادية التي يسودها القلق، ويشكو من استبعاد التكنولوجيا للإنسان، فالآلة هي (الإله المعبود) في المجتمعات الغربية؛ حيث فقد الإنسان إنسانيته وجافى الفطرة ولوث البيئة وخرب الطبيعة، فاستحكم به التوتر العصبي والاضطرابات النفسية بعدما أضاع إيمانه، وفقد روحه، ولقد عرّبت الكتاب لأمرين:

أولهما: إيصال بعض ما فيه لمدعى الثقافة من المبهورين بالمجتمعات الغربية بجناحيها الرأسمالي والماركسي، فلقد شهد شاهد

من الأهل أن الغرب ضائع، زائغ البصر فاقد البصيرة.

قال رئيس بلدية (كليفلند) الأمريكية متهكماً: «إذا لم نكن واعين فسيذكرنا التاريخ على أساس أننا الجيل الذي رفع إنساناً إلى القمر بينما هو غائص إلى ركبتيه في الأوحال والقاذورات».

وثانيهما: لفت نظر أولي الأمر في العالم العربي حتى لا يخذعوا بموضوع النمو والتنمية، وينجروا دون دراسة متعمقة ووعي كاف وراء الغربيين في هذا المضمار، فليس كل نمو تقدم. والخرافة التي تقول: (النمو هو التقدم) ما هي إلا (توراة الدمار) كما سماها (أودال) ناظر الخارجية الأمريكية الأسبق. والتطلع إلى موقف إنساني غير خاضع للتكنولوجيا ليس رجعية ولا انهزامية، بل هو موقف وجهد بطولي على حد تعبير (دويو).

أما (جيبون) المؤرخ الذي يعد من سدنة الدراسات التاريخية الحديثة، فقد تنبأ منذ مائتي عام تقريباً بانحلال الحضارة الأوروبية وزوالها الحتميين في نهاية القرن العشرين.

أما (الدوق هكسلي)، فإنه يقرر أن الإنسان في عصرنا لم يعد يستهلك الأشياء، بل هي التي تستهلكه وأنه صار عبداً لعمله فانحدرت قيمته الإنسانية وعاش في أجواء القلق.

وفي رواية له باسم «جسور في طريق الانهيار» يورد هذه الجملة على لسان أحد شخصياتها: «أهدف إلى تكوين وعي مضاد للحضارة

المرعبة، أود أن أقوم بعملية حرق وتطهير لها».

وهناك كتب وأعمال أدبية كثيرة تعرضت لموضوع الحضارة الغربية مثل: «الأماكن المسمومة» لـ (ترومان كابوت) و«المهزلة البشرية» لـ (وليم ساروبان) و«الغزو المجهول» لـ (ميشيل رونالد) و«أوروبا بعد البشرية» لـ (ألان بوزنسن) و«الساعة الخامسة والعشرين» لـ (كونستنتان جورجيو).

وفي هذه الكتب والأعمال الأدبية إدانة للحضارة الغربية أو اعتراض على جوانب منها أو تنبيه على مخاطر تحيط بها أو حكم عليها بأنها في طريق الانحلال.

أما (فيلا سبازا) فإنه يقول:

«إن جميع اكتشافات الغرب العجيبة ليست جديرة بكفكة دمعة واحدة ولا خلق ابتسامة واحدة، وليس أجدر من أمم الشرق المحتفظة بالثقافة العربية الإسلامية والقائمة على إذاعتها بوضع حد نهائي لتدهور الغرب المشثوم الذي يجزُّ الإنسانية إلى هوة التوحش والتسلط المادي».

وفي مارس ١٩٨٢م نشرت (الهير الدتريبيون) مقالاً للطبيبة الأسترالية (هيلين كالديكوت) بعنوان «الوباء الأخير الحاطم»، وهذه الطبيبة تعمل مع أطباء آخرين ضد استخدام الأسلحة الذرية، وفي رأيها أن الحروب الذرية لن يكون فيها غالب ولا منتصر؛ لأن بعض مناطق المعمورة

ستتلاشى نهائياً، وبعضها الآخر سيبقى فيه بعض البشر معرضين لأكبر الأخطار والحروق، وبقاؤهم سيكون أكبر بلية عليهم، وقد أطلقت على الحروب الذرية المحتملة الوقوع (الوباء الأخير الحاطم).

أمّا (روبرت هي) أستاذ التاريخ في جامعة (ماركويت) في أمريكا فإنه يقول: «إن أمريكا عام ١٩٨١م مفككة إلى حد لا يطاق، ونحن في أمس الحاجة إلى الإحساس بالحياة الاجتماعية، ومن السهل أن نفهم أمريكا الضائعة الأرواح؛ حيث لا يرتبط الفرد بشيء، فهو يبحث عن هويته، يبحث في العمل أو في المهنة وفي التقدم الاقتصادي عن علامة تميزه وتخرجه من هو».

أما الكاهن المشهور (جيرى نولويل)، فإنه يقول في كتابه «اسمعي يا أمريكا»:

«لديّ إحصاءات مرعبة عن حوادث الطلاق وتدمير الأسرة والإجهاض، وجنوح الناشئة والفوضى الجنسية وتعاطي المخدرات وجرائم القتل، إنني أشاهد حطام الإنسان والأرواح المهذورة بأكداس تفوق الإحصاءات، إن أمريكا بحاجة سريعة إلى الإنقاذ الروحي والأخلاقي إن كانت تريد ألا تهلك في القرن العشرين».

ظاهرة الانتحار في الغرب:

ولعل الوقوف عند ظاهرة الانتحار في الغرب يقدم مؤشراً ذا أهمية خاصة يدل على حالة اليأس والإحباط الذي يتردى فيه كثير من

المشاهير هناك، فضلاً عن العاديين.

ففي عام ١٩٤٢م انتحر الروائي الكبير (ستيفان زفايج) في البرازيل في إحدى ليالي الكرنفال الصاخبة التي تحتفل بها الريو يجانيرو؛ إذ تناول السم مع زوجته بعد أن كتب في إحدى قصصه الأخير: «إن العالم الذي نعيش فيه لم يستطع أن يقدم لنا الشيء الكثير، في نفس الوقت الذي لن نستطيع فيه المشاركة في تغيير أي شيء. إننا لا نعدو أن نكون مجرد أشباح وذكريات».

وفي عام ١٩٤٩م انتحر الأديب الألماني (كلاوس مان) ابن الكاتب المشهور (توماس مان) في مدينة (كان) الفرنسية، فكتب والده ينعيه مذكرًا بصديقه (ستيفان زفايج)، وكأنه يتساءل عن سبب انتحار الأدباء، ويعثر على السبب في العزلة الأدبية والفكرية والشعور بالغربة.

وفي عام ١٩٥٠م انتحر الأديب الإيطالي (سينزر بافيزه) في فندق متواضع في مدينة تورينو بعد أن وصل إلى قمة الأدب الإيطالي إثر نشر روايته الطويلة «مهنة الحياة» التي تفوح منها رائحة الموت والانتحار.

وفي عام ١٩٦١م اهتز العالم لانتحار الأديب الأمريكي الشهير (أرنست همنجواي) الذي اختار أن يضع نهاية حياته بيده بعد أن بلغ من الشهرة الأدبية داخل أمريكا وخارجها ما يجعله في مصاف الأدباء العالميين.

وفي عام ١٩٧٨م انتحر الكاتب الفرنسي (جان إيمري) الذي التزم

طيلة حياته بأدب الموت مقتفياً آثار ملهمه الفكري (هاينرش فون كلايست) الذي انتحر عام ١٨١١م.

ويمكن أن يعد (جان إيمري) أقدر الكتاب والأدباء الأوربيين في التعبير عن أدب الانتحار الذي أطلق عليه: «امتياز الإنسان». وعندما كان طلبته يوجهون إليه سؤالاً ساخراً عن السبب الذي يجعله يحجتم عن الانتحار وهو الذي ألف كتاب (محاضرات حول الانتحار) كان يجيبهم بقوله: «صبراً أيها الرفاق، صبراً». وفي يوم افتتاح معرض للكتاب الدولي في مدينة فرانكفورت عام ١٩٧٨م انتحر (جان إيمري) وطبق على نفسه ما كان يقوله من قبل.

وفي عام ١٩٨٠م بالغ الشاعر الألماني الدكتور (هانز باير) الذي عرف في أشعاره باسم (ترول) في الاحتفال بانتحاره، فقد عمد في ذكرى ميلاده الحادي والستين إلى تناول كمية كبيرة من الحبوب المنومة بعد أن ارتدى حُلته الجديدة، ونشر الزهور على سريرته الذي استقبل عليه الموت، ولم ينس قبل موته أن يرسل بطاقات نعيه إلى أصدقائه ويكتب فيها: «أصدقائي الأعزاء، لقد استبقت بوفاتي مراسم الدفن السخيفة، ورؤية المشيعين والجو الزائف المحيط بالجنازة».

وفي عام ١٩٨٣م دخل خادم الكاتب البريطاني المعروف (آرثر كوستلر) غرفة جلوس سيده، فوجده على أريكتة المفضلة التي كان يطالع فيها وبجانبه زوجته، وكان الاثنان ميتين، بعد أن عمدا إلى

الانتحار، وربطت مجلة (تايم) الأمريكية بين انتحار (كوستلر) وبين كتاباته؛ مقدمة دليلاً صغيراً عنوانه (مرشد، تحرير الذات). أصدرته سنة ١٩٨١م، جمعية بريطانية تضم أكثر من ثمانية آلاف عضو، ويحوي الدليل وصفات عديدة للانتحار، وهذا الدليل الغريب - كما تقول المجلة - واحد من أدلة عديدة مشابهة بدأت تنتشر في أوروبا وأمريكا بمختلف اللغات مع انتشار أجتماعيات تشجيع الانتحار التي زاد عددها على ثماني عشرة جمعية.

وفي المستخلصات الإحصائية للولايات المتحدة لعام ١٩٨٤م، ورد جدول عن الانتحار في العالم ونسبته بين كل مائة ألف، فاحتلت الدانمارك المرتبة الأولى، ثم النمسا، فألمانيا الغربية، فسويسرا، فالسويد فاليابان، ففرنسا، فكندا، فبولونيا، فالولايات المتحدة الأمريكية.

والملاحظ أن هذه الدول يعيش الناس في معظمها في مستويات اقتصادية عالية، وبعضها يصل في الرخاء إلى درجة الرفاهية، ومع ذلك نجد فيها من ينتحرون وينسب متزايدة، مما يجعل أي دارس يتساءل بالحاح: لماذا ينتحرون؟ ولعل الجميع لا يزالون يذكرون حادثة انتحار قراية ألف أمريكي في إحدى دول أمريكا اللاتينية في أواخر السبعينات من الشباب والشبان الذين اندفعوا وراء شخص مخبول؛ بحجة استحضر الأرواح وغيرها، وهناك وضع لهم السم وحمل الجميع أكوابهم ليتجرعوا في وقت واحد، وقد عرض التلفزيون الأمريكي

الطائرات الأمريكية وهي تنقل جثث المنتحرين إلى ذويهم المصعوقين.

وثمة حدث لا بد أن يقف عنده كل دارس للمآل الذي تسير نحوه الحضارة الغربية؛ ذلك أنه غني بالدلالات والدروس، لقد حدث أن انقطعت الكهرباء في مدينة نيويورك مدة طويلة في عام ١٩٧٧م، فهاذا حدث أثناء الظلام حيث ضاعت الرقابة وغاب الأمان وعجز رجال البوليس عن أداء مهمتهم؟ لقد حدثت جرائم سطو وقتل وعنف وتخريب بدرجة تفوق أضعافاً مضاعفة ما يحصل في الأوقات العادية، لقد زال الوازع الخارجي الذي يمنع الناس من الشر، فاتضح جلياً أن الوازع الداخلي ضعيف جداً، وأن الأدب في التعامل والصورة الحضارية للتعايش مع الآخرين أدب كاذب وصورة زائفة.

لقد سقط طلاء الزيف وسقطت القشرة الجميلة الكاذبة، فظهر الوحش الحقيقي في أعماق الناس، فإذا بهم يقتلون ويدمرون ويسرقون، ومنهم من لا يسرق حتى يدمر ما يستطيع تدميره قبل أن يسرق ما يريد سرقته، ومنهم من يمارس لذة تحطيم واجهات المحال التجارية وإيذاء الجيران.

ولم يتحرج (نيكسون) من أن يعلن في أول خطاب رسمي له بعد انتخابه رئيساً في أمريكا: «إننا نجد أنفسنا أثرياء في البضائع ولكن ممزقين في الروح، ونصل بدقة رائعة إلى القمر، وأما على الأرض فتتخبط في متاهات ومتاعب كبيرة».

أما الجنرال (ديجول) رئيس فرنسا الأسبق، فقد قال:

«إن مجتمعاتنا الأوروبية فقدت شيئاً ثميناً جداً تحت وطأة تقدمها الضخم؛ وهو الإنسانية، وأعني بها القيم الروحية البشرية العليا، فقد قطعت حضارتنا تلك الصلة المعنوية التي تربط البشر بعضهم ببعض، لقد جف شعورنا وتجمدت قيمنا الأخلاقية وانحلت».

وحين سئل عن ميله إلى توطيد علاقات بلاده بالعالم العربي الإسلامي أجاب:

«أعتقد أن اتصالنا بالمجتمعات العربية والإسلامية التي حافظت على تلك الروح الإنسانية التي فقدناها - سينقذنا من مغبات حضارتنا، وسيكون مفيداً لنا جداً؛ ولهذا فإنني أحرص على تحسين علاقات فرنسا وتوثيقها بالعالم العربي والإسلامي».

وقد أعلن (ديجول) في أكثر من مناسبة عن إحساسه بأن الاتحاد السوفيتي ينوء بمشكلات تنخر في جسده وستنفجر ذات يوم، وأن أمريكا تنوء بمشكلات مماثلة، وتساءل: هل يمكن للإسلام أن يقدم العلاج لأدواء الحضارة؟

ومن الأصوات المتميزة التي ينبغي الوقوف في ساحتها الفكرية أكثر من المعتاد الفيلسوف الفرنسي المعاصر (جارودي) وهو شخصية سياسية وثقافية شهيرة، لا في بلده فرنسا فقط، بل في الساحة العالمية، عاش هذا الرجل حياة خصيبة غنية؛ إذ نشأ في المجتمع الفرنسي، فوجد

نفسه واحداً من الذين يدينون بالمسيحية بالإرث والعادة أكثر من القناعة والممارسة؛ لذلك لم يكن غريباً أن هجر المسيحية واختار الشيوعية؛ حيث تبوأ في الحزب الشيوعي الفرنسي مكانة عالية فكرياً وتنظيمياً، وكانت له مؤلفات متداولة بين الشيوعيين، لكنه شيئاً فشيئاً بدأ يعترض على الشيوعيين ودعا في محاضرات له إلى أن تخصب الماركسية فلسفتها بعطاء الأديان عامة والإسلام خاصة، وإلا تكون قد حكمت على نفسها بالعقم، وقد عرضه ذلك إلى أزمات وعداوات من رفاقه الذين كتب أحدهم كتاباً ضده سماه «فلسفة الردة».

واستمر (جارودي) في بحثه عن الحقيقة ودراسته للإسلام حتى انكشفت له خصائصه الباهرة وتلبيته لحاجة البشر أفراداً وجماعات، فإذا به يعلن إسلامه عام ١٤٢٠هـ - ١٩٨٢م، وإذا به يتحول إلى ناقد بصير لعيوب الحضارة الغربية وإلى داعية للإسلام ومدافع عن قضايا العروبة والإسلام، وإلى مبشر بأن الإسلام هو القادر على إخراج الحضارة من محنتها التي تحياها اليوم.

لقد أهدى (إلكسيس كاريل) كتابه «الإنسان ذلك المجهول» إلى «أولئك الذين يجدون من أنفسهم شجاعة كافية ليدركوا ليس فقط ضرورة إحداث تغييرات عقلية وسياسية واجتماعية، بل أيضاً ضرورة قلب الحضارة الصناعية وظهور فكرة أخرى للتقدم البشري».

حقاً إن (جارودي) امتلك الشجاعة الكافية ليعلن إسلامه أولاً،

وليقرر ثانياً أن الإسلام هو الذي سينقذ الحضارة كلها، فكأنه الفكرة الأخرى للتقدم البشري التي نادى بها (كاريل).

ويحدد (جارودي) المؤشرات التي تنذر البشرية بالدمار في ظل الحضارة الغربية بأربعة هي:

١- الاقتصاد الذي يسيطر عليه النمو المتمثل في الرغبة الجنونية في زيادة وسرعة الإنتاج، إنتاج أي شيء نافع أو غير نافع، ضار أو مميّ.

٢- السياسة التي تحكمها علاقات اجتماعية داخلية وخارجية والتي يسودها العنف المعبر عن صدام المصالح والنزوع إلى السيطرة بين الأفراد والطبقات والأمم.

٣- الثقافة العارية من المعنى والغاية، فالتقنية للتقنية والعلم للعلم والفن للفن والحياة لغير هدف.

٤- الافتقار إلى العقيدة الخالية من التعالي الذي يمثل البعد الإنساني للإنسان.

ويقول (جارودي) في مقابلة صحفية أجريت معه: «لقد طغت على العالم صناعة الأسلحة، وفي عام ١٩٨٢م أنفق العالم الغربي ٦٥٠ مليار دولار في التسليح، وهو ما يوازي ٤ أطنان من المتفجرات لكل وجه على الأرض، وبمعنى آخر أصبح من الممكن لأول مرة في التاريخ محو أي أثر للحياة على الأرض، هذا وفي نفس السنة أي ١٩٨٢م، يوجد

خمسون مليوناً، من البشر في العالم يعانون من الجوع والأحوال المعيشية المتردية، وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على أن العالم يسير في طريق ضال دون تفكير في العاقبة... إن القضية هي كيف ننجو بالعالم، كيف نتخلص من حضارة الغرب، كيف نختار الطريق الحكيم حتى يمكن للإنسان أن يعيش بتوافق مع الطبيعة من ناحية ومع الإنسان الآخر من ناحية ثانية ثم بتوافق تام مع الله سبحانه وتعالى؟ إن الوصول إلى الجواب هو الغرض الرئيسي من حوار الحضارات.

ونشرت صحيفة (نيويورك تايمز) في أعدادها الصادرة خلال مارس وأبريل ١٩٨٢م سلسلة من الأبحاث عن انتشار الجريمة وتدمير الأسرة وهروب المراهقين وظهور مرض الهربيز، ومما قالت: «لقد تبين أن المؤسسات الإصلاحية التي تحاول أن تصلح هؤلاء الناشئة ليست إلا مدارس تعلمهم الجريمة، حيث يدرّب بعضهم بعضاً على المزيد من أساليب القتل والسرقة وتعاطي المخدرات والجنس، وإن هذه المؤسسات في حيرة من أمرها في هذا الموضوع».

لقد نشرت إحصاءات عن الولايات المتحدة الأمريكية بمناسبة محاولة اغتيال رئيسها (ريجان) جاء فيها أن جريمة قتل واحدة تتم كل (٢٤) دقيقة، ويجرى في كل عشر ثوان اقتحام منزل وسرقة، ويوجد من الأسلحة المعروضة للبيع الحر مسدس لكل أربعة، وتباع قطعة سلاح كل (١٣) ثانية.

ويمسك (جوزيف كاميليري) في كتابه «أزمة الحضارة» الموضع بيده المتحدية الثابتة ليُشَرِّح جسد الحضارة الصناعية الغربية وثقافتها، ويكشف عن الأورام القتالة التي تعاني منها - كما يقول الدكتور فيصل السامر مترجم الكتاب إلى العربية.

فالتكنولوجيا التي كان يفترض أن تحرر الإنسان من عبودية الأسلوب التقليدي في الاقتصاد، أضحت اليوم سيدة الكائن الإنساني، والطالب الذي يتوجه إلى المخدرات والهيبي الرافض بحثاً عن الفردوس الخداع، والمراهق الذي يتصدى لت هشيم النوافذ وتحطيم السيارات، والأفاق الذي يجد مهرباً في خبل الكحول؛ كل هؤلاء إنما هم ضحايا مناخ القلق المتغلغل والشعور بعدم الأمان ومرض العصاب.

إن خطورة الأزمة القائمة هي أنها ليست موجهة إلى الجانب الروحي للكائن الإنساني فحسب، وإنما تنخر في العلاقات الإنسانية برمتها، إن على الإنسان أن يتعامل مع البيئة الطبيعية؛ لأن الماكينة الاقتصادية تدفعه إلى ذلك من أجل المزيد من الإنتاج والاستهلاك لضمان دورانها؛ لأنه ضمن هذه المعادلة اللامتوازنة قد فقد إدراكه لدوره الخاص وهدفه في الكون وواجهه تجاه نفسه وبين جنسه وبيئته.



سقوط أمريكا

يحاول الأمريكي أن يصوروا للعالم أنهم قادرون على كل شيء، وأنهم أكبر قوة على ظهر الأرض، وأن قوة أخرى ليس بمقدورها أن تردع قوتهم أو تقف أمام جبروتهم، فإمكانهم أن يهددوا سلامة أي دولة، وأن يفرضوا حمايتهم على أي دولة، وإن كانت مزعومة أو ظالمة باطشة.

ولكن هل نستطيع أن نسلم مع الأمريكيان بهذه المعتقدات؟ وهل هذه هي نهاية المطاف؟ في الحقيقة إن أدلة منطقية وعلمية كثيرة تؤكد لنا أن انهيار أمريكا حقيقة مؤكدة، وقبل أن يتصور البعض أننا واهمون أو مغرَقون في الخيال أو منغمسون في الأحلام، نقول: إننا لا نتحدث اليوم حديث العاطفة، ولكننا نتحدث حديث الأرقام والإحصاءات، وحديث الوقائع والأدلة، وكلها شهادات شهد بها أهلها، إن أمريكا الآن تجلس وحدها فوق قمة العالم معتقدة أن العالم كله يعيش «القرن الأمريكي»، ولكنها لن تظل طويلاً على القمة، فإن كل الشواهد تؤكد أنها سوف تفقد القمة، وإن كانت إمبراطورية أمريكا قد حققت بعض الانتصارات في الخارج، فإنها تتحلل وتحمل بذور فنائها في الداخل.

إن الأسباب المؤدية إلى انهيار أمريكا هي أقوى بكثير من تلك التي حطمت الإمبراطورية السوفيتية، بل إن المصير الذي آل إليه الاتحاد السوفيتي قد يصبح حلماً بعيد المنال بالنسبة لأمريكا، فعندما انهارت الإمبراطورية السوفيتية المركزية عادت إلى عناصرها الأولى، وهي جميعاً شعوب وجماعات لها جذور ومكونات راسخة وضاربة في الماضي، ومنها على سبيل المثال الجمهوريات الإسلامية التي استقلت، أما إمبراطورية أمريكا، فهي بلا عناصر أولية، وبالتالي فإذا انفرط عقدها فستتحول إلى جزئيات فسيفسائية بلا جذور.



لغة سقوط أمريكا

ولتأكيد الانهيار الوشيك للإمبراطورية الأمريكية، سوف نركز على مؤشرات السقوط الرئيسية، والتي تتلخص في أربعة عوامل ما بين اقتصادية، وسياسية، واجتماعية، وحضارية وثقافية.

١- العوامل الاقتصادية:

كان العامل الاقتصادي سبباً في سقوط ما سبق من إمبراطوريات، فالاتحاد السوفيتي عندما تفكك وانهار لم يكن ضعيفاً عسكرياً رغم هزيمته في أفغانستان؛ وإنما انهار بسبب الاستنزاف المدمر للاقتصاد الروسي وتراكم الديون.

نفس الأمر حدث مع الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية، وحتى الإمبراطورية العثمانية سقطت بسبب عجزها الاقتصادي وكثرة ديونها، ولا نعني بالسقوط هنا أن تعود أمريكا إلى القرون الوسطى، وإنما ستصبح دولة عادية تعيش داخل حدودها، وقد تبقى دولة قوية مثل بريطانيا وفرنسا وروسيا، ولكن ستتتهي الأطماع التوسعية والاستعمارية، وتنتهي هيمنة الرجل الأبيض على العالم.

ومن يتابع الوضع الاقتصادي في أمريكا يجد أن استعادتها لعافيتها مجرد سراب وأضغاث أحلام، وأن اقترابها من الإفلاس أصبح قاب قوسين أو أدنى، وأن الانهيار بات وشيكاً جداً ربما أسرع مما نتخيل، وسنجد أنفسنا أمام هذا السقوط المفاجئ، مثلما فوجئنا بانهيار الاتحاد السوفيتي.

ومن خلال متابعة تطورات الأوضاع الاقتصادية والاطلاع على تقديرات المحللين العالميين والأمريكيين - يمكننا تحديد أكثر من ٢٠ [أدليلاً يؤكد الانهيار الوشيك لأمريكا، وهي كالتالي:

(١) ارتفاع العجز في الميزانية الأمريكية إلى مستويات غير مسبوقة، قال مكتب الميزانية بالكونجرس: إن عجز الميزانية الأمريكية بلغ ١,٣٤٢ تريليون دولار في عام ٢٠١٠، وتوقع المكتب أيضاً عجزاً قدره ١,٠٦٦ تريليون دولار للسنة المالية ٢٠١١م، وأعلنت الموازنة التي أصدرها البيت الأبيض في

فبراير الماضي عجزًا بـ ٨,٥٣ تريليونات دولار طوال ١٠ سنوات، وقدّر مكتب الموازنة أنه ارتفع إلى ٩,٧٥ تريليونات دولار، وتوقع خبراء أن تتسبب موازنة عام ٢٠١١ بعجز يقارب ١٠ تريليونات دولار على مدى ١٠ سنوات.

(٢) ارتفاع العجز في الميزان التجاري بسبب زيادة الاستيراد من الخارج وتراجع الصادرات الأمريكية، فوفقًا لوزارة التجارة الأمريكية واصل العجز ارتفاعه في العام ٢٠٠٩؛ حيث بلغ ٣٧٥ مليار دولار، ولم يتراجع العجز هذا العام وإنما واصل الارتفاع ليصل إلى ٣٣٤,٩ مليار دولار خلال الشهور الثمانية الأولى من العام الجاري، وقالت وزارة التجارة الخارجية الأمريكية: إن عجز الميزان التجاري الأمريكي نما بنسبة ٨,٨٪ خلال أغسطس ٢٠١٠ إلى ٤٦,٤ مليار دولار مقابل ٤٢,٦ مليار دولار خلال يوليو، في حين تصدر الصين قائمة الدول التي يميل الميزان التجاري لصالحها في مواجهة الولايات المتحدة، وارتفع العجز التجاري مع الصين إلى مستوى قياسي عند ٢٨ مليار دولار خلال أغسطس ٢٠١٠ مقابل ٢٠,٢ مليار دولار خلال نفس الشهر عام ٢٠٠٩.

(٣) ارتفاع الديون الأمريكية العامة خلال السنوات العشر الماضية من ٥,٦٤٧ ترليونات دولار بنسبة ٥٨٪ من الناتج المحلي

الإجمالي عام ٢٠٠٠، إلى أكثر من ١٣ تريليون دولار في ٢٠١٠ حسب المعطيات التي نشرتها وزارة الخزانة الأمريكية في يونيو، أي حوالي ٩٣٪ من إجمالي الناتج المحلي للبلاد، ومن المتوقع أن يصل في عام ٢٠١٥ إلى ١٩,٧ تريليون دولار أي ١٠٢,٦٪ من الناتج المحلي الإجمالي، أي أن الولايات المتحدة لا محالة في طريقها إلى الإفلاس، وفي تقرير للفريق الاقتصادي لـ «CNN» في مارس الماضي، فإن هذه الأرقام الرسمية لا تتضمن بنودًا مخفية ترفع حجم الديون إلى أرقام فلكية، منها خسائر الشركات التي تديرها الحكومة الأمريكية بعد إعلان إفلاسها، وأيضًا خسائر خفض الضرائب، ويؤكد الخبراء أن الدين الأمريكي أشبه بقنبلة زمنية موقوتة يمكن أن تنفجر في أي لحظة، حيث يزداد بحوالي ٤,١ مليار دولار يوميًا، وبحوالي مليون دولار كل دقيقة.

(٤) تملك الصين وحدها نحو تريليون دولار من سندات الخزينة ومن أوراق الدين الأمريكية بصفة عامة، على نحو يجعلها قادرة على إسقاط الاقتصاد الأمريكي إن أرادت ذلك بالتخلص من هذه السندات في أي لحظة.

(٥) قدّر تقرير للجنة الاقتصادية المشتركة التابعة للكونجرس الأمريكي تكاليف الحربين بين عامين ٢٠٠٢ و ٢٠٠٨، بما

يعادل ٦, ١ تريليون دولار، وليس كما قدرتها إدارة بوش بأنها تتراوح بين ٥٠: ٦٠ مليار دولار فقط، أما التكاليف الاقتصادية المستقبلية فستكون أكبر من ذلك بكثير؛ إذ تشير تقديرات التقرير إلى أن تكلفة الحربين معاً بين عامي ٢٠٠٣ و٢٠١٧ ستصل إلى ٣, ٥ تريليون دولار، أي أن العائلة الأمريكية العادية ستتحمل عبئاً يصل إلى ٤٦٤٠٠ دولار.

(٦) ارتفاع تكلفة الحرب في العراق وأفغانستان إلى (٤: ٦) تريليونات دولار، أعلن ذلك جوزيف ستيجلتزر العالم الاقتصادي الحائز على جائزة نوبل، وليندا بيلمز الأستاذة بجامعة هارفارد، مؤلفا كتاب «حرب الثلاثة تريليون دولار» باحتساب نفقات رعاية الجنود الجرحى، وصححوا الرقم الذي صدر في كتابيهما منذ عامين بعد إحصاءات جديدة أعلنها اتحاد المحاربين القدماء.

(٧) من واقع سجلات الكونجرس، فإن الحرب تكلف الولايات المتحدة شهرياً ٨٠ مليار دولار، ووصلت كلفة إرسال الجنود إلى المنطقة ٥, ٢ مليار دولار، وتتراوح تكلفة إلقاء القنابل ما بين عشرة آلاف إلى ١٥ ألف دولار في الساعة، وتبلغ تكلفة تشغيل حاملة الطائرات الواحدة ثلاثة ملايين دولار يومياً.

(٨) مضاعفة ميزانية الدفاع خلال السنوات العشر، مما شكل

ضغطاً على الميزانية العامة للولايات المتحدة، فقد كانت مخصصات البتاجون نحو ٤٣٢ مليار دولار في عام ٢٠٠٠ ارتفعت إلى ٦٩٦, ٣ مليار دولار في عام ٢٠٠٨، وبلغت ٧٢٠ مليار دولار لعام ٢٠١١.

(٩) أكدت وزارة التجارة الأمريكية تراجع النمو في الناتج المحلي الإجمالي وتراجع الطلب على المنتجات الأمريكية - غير الدفاعية - في الأسواق العالمية عكس كل الوعود التي أعلنتها الحكومة، وهذا التباطؤ يقرب البلاد من الإفلاس.

(١٠) اهتزاز أسواق الأسهم الأمريكية وفقدان الثقة بها وهروب الاستثمارات الأجنبية.

(١١) إغلاق عشرات الآلاف من المصانع والشركات الأمريكية وتسريح العاملين فيها، قالت قاعدة بيانات لإحصاءات الإفلاس الأمريكية التي يستخدمها المحامون والبنوك: إن ٦٥٠٢ شركة رفعت دعاوى للحماية من الدائنين بموجب قوانين الإفلاس في يناير ٢٠١٠، مقارنة بـ ٦٠٥٥ شركة في يناير ٢٠٠٩.

(١٢) إفلاس أكثر من ١٥٠ بنكاً أمريكياً، ولا زال أكثر من ٥٠٠ بنك على شفا الإفلاس، وسقوط البنوك يقود البلاد إلى الشلل التام في كل المجالات الاقتصادية.

(١٣) تراجع الدولار أمام العملات الرئيسية الأخرى، وتدهور قيمة الدولار أمام اليورو واليوان الصيني إلى أقصى حد، وهذا التخفيض المستمر لقيمة الدولار يفقد الثقة في الاستثمارات على الدولار، وخصوصًا الاستثمار في السندات الحكومية الأمريكية والاستثمار في أسواق المال الأمريكية.

(١٤) تخلص المستثمرين من الدولار بشراء الذهب كمخزن للقيمة؛ مما يفقد الدولار قيمته العالمية كمخزن للقيمة، الأمر الذي ترتب عليه ارتفاع أسعار الذهب إلى مستويات قياسية.

(١٥) في قائمة نيوزويك عن أفضل مائة دولة في العالم تراجعت أمريكا عن موقعها الأول في ٢٠٠٠ إلى رقم ١١ في عام ٢٠١٠.

(١٦) ارتفعت معدلات الفقر في الولايات المتحدة إلى أعلى مستوى لها في نصف قرن، حيث تجاوز عدد الفقراء في العام الماضي ٤٣,٦ مليون مواطن أمريكي، وأكد مكتب الإحصاء الأمريكي أن معدلات الفقر ارتفعت إلى نسبة ١٤,٦٪ من إجمالي السكان في عام ٢٠٠٩، مقارنة بنسبة ١٣,٢٪ عام ٢٠٠٨؛ لتبلغ أعلى مستوى لها منذ بداية إحصاء الفقراء في عام ١٩٥٩ م.

(١٨) عشرة ملايين أمريكي يتلقون حاليًا التأمين ضد البطالة، وهو

ما يقارب أربعة أضعاف عددهم لعام ٢٠٠٧ م.

(١٩) أكثر من واحد وأربعين مليون أمريكي على قائمة كوبونات الطعام، وارتفع عدد الأمريكيين الذين التحقوا ببرنامج كوبونات الطعام بنسبة مذهلة خلال الفترة من ديسمبر عام ٢٠٠٧ حتى يونيو عام ٢٠١٠ إلى حدود ٥٥,٠٪.

(٢٠) تخلفت أكثر من ستة ملايين أسرة أمريكية عن سداد أقساط القروض لمدة ٦٠ يومًا أو أكثر، وفقًا لبيانات شهر فبراير ٢٠١٠ التي أعدها فريق الرقابة المكلف من مجلس الشيوخ الأمريكي بمتابعة برامج وزارة الخزانة.

(٢١) تتزايد نسبة البطالة في الولايات المتحدة بسبب تراجع معدلات النمو والإقبال المتزايد للمصانع، وانتقال بعض الصناعات إلى دول آسيوية، إلى جانب إغراق أسواق الولايات المتحدة المفتوحة بالبضائع الصينية الرخيصة، كانت نسبة البطالة ٩,٣٪ في عام ٢٠٠٠، وأعلنت وزارة العمل أن معدل البطالة ارتفع إلى ٩,٦٪، وحاليًا يبلغ إجمالي عدد عاطلين عن العمل في الولايات المتحدة نحو ٣١ مليون عاطل.

(٢٢) تراجع التعليم في أمريكا باعتراف الرئيس الأمريكي أوباما، خاصة التعليم العالي، حيث قال: «إن نسبة الحاصلين على هذا

القدر من التعليم بين مواطنينا تتجاوز بالكاد ٥٠٪، كما أن نسبة المتسربين من التعليم الثانوي لدينا تعتبر من أعلى مستويات التسرب في الدول الصناعية، وفي الوقت نفسه فإن نصف الطلاب الذين يبدؤون الدراسة الجامعية لا يستكملونها على الإطلاق».

٢- العوامل السياسية:

ذكرت مجلة «نوموند ديبلوماتيك» تحت عنوان «أمريكا تفقد مكانتها»:

هناك إجماع بين المعلقين والمحللين العالميين على أن مستويات القادة السياسيين والمرشحين المتنافسين على مناصب الرئاسة والحكومة والإدارة العليا بلغت درجة من التفاهة لم يسبق لها مثيل في العالم، فغالبيتهم بلا ثقافة ولا دراية ولا إدارة؛ بحيث تتلاعب بهم جماعات النفوذ السرية وأصحاب الشركات ورءوس الأموال والعصابات ولا يملكون أي مؤهلات للقيادة.

إن الصورة في الكونجرس الأمريكي رديئة جداً، حيث لا يهتم المشرعون سوى بمصالحهم الشخصية، دون مراعاة للمصالح الحقيقية لبلادهم أو العالم.

وتصف مجلة «التايم» هؤلاء النواب بأنهم مزيج من الفساد والأنانية والجبن السياسي، وقد ذكر المعلق الأمريكي المشهور «باتريك

بوكانون» أن الكونجرس الأمريكي هو أرض احتلال إسرائيلي، وأن قيادة سياسية بهذه المواصفات لابد أن تكون عاملاً قوياً في انحطاط أمريكا ودفعها نحو الانهيار والتفكك؛ بل إنها قيادة خطيرة على مصير العالم؛ لأنها قد تجازف بتبعيتها الجارفة لجماعات النفوذ والمصالح الخاصة إلى تهديد الأمن والسلام والاستقرار والعدالة في العالم، وهو ما يحدث فعلاً بسبب هذه القيادة منذ سنوات بعيدة، وقد يزداد في السنوات المقبلة؛ لأنها أصبحت أكثر حرية في التصرف وارتكاب الحماقات، ويكفي أن نعلم أن الحكومة الأمريكية في عهد الرئيس بيل كلينتون هي دولة أقلية لليهود الذين أحكموا قبضتهم على السلطة ويعملون من أجل الكيان الصهيوني على حساب مصالح أمريكا، «فمادلين أولبرايت» اليهودية هي وزيرة الخارجية، كما أن «وليم كوهين» وزير الدفاع، «وجورج تننت» مدير وكالة المخابرات الأمريكية، و«صموئيل ييرجر» مدير جهاز الأمن القومي، و«جيمس روبن» المتحدث باسم البيت الأبيض - هم كذلك من اليهود.

* يصف الكاتب «روبرت انتمان» الديمقراطية الأمريكية بأنها ديمقراطية بغير مواطنين، ويشير إلى ترايد نسب مقاطعة الأمريكيين للانتخابات، ويتوقع ألا يشارك ٤٠٪ من فقراء أمريكا، و ٨٠٪ من مواطني الولايات الجنوبية في الانتخابات القادمة.

* وفي كتاب بعنوان: لماذا يكره الأمريكيون السياسية؟ يجيب المؤلف بقوله:

لأنهم يكرهون التزييف الأخلاقي وأساليب شق الصفوف وإشاعة التفاهة وتبادل تفجير الفضائح الشخصية، وهي أساليب العمل السياسي السائدة في المجتمع الأمريكي؛ إنها ديمقراطية استهلاك الأوهام أو كما يعبر عنها ناعوم شومسكي: «إنها ديمقراطية أن تفعل ما تريد مادمت تفعل ما نريدك أن تفعله».

* لا يستطيع مواطن واحد من العامة أن يفكر مجرد تفكير في ترشيح نفسه للانتخابات الديمقراطية لأن المرشح يحتاج إلى صندوق مكتظ بالدولارات للإنفاق على الحملة الانتخابية، أما المرشحون الذين يخوضون الانتخابات، فيحصلون على الأموال إما من الشركات التجارية العملاقة والقوى الرأسمالية أو من الأحزاب، وهي بدورها تتلقاها من أصحاب المصالح والمافيات التي تتاجر في المخدرات والجريمة المنظمة.

* لا يوجد تمثيل حقيقي في البرلمان للموظفين والفئات الاجتماعية المختلفة، ويلاحظ أن العمال والموظفين الذين يشكلون ثلثي السكان يكاد لا يكون لهم أي تمثيل في البرلمان.

* إذا أخذ في الاعتبار نسبة أعداد الذين لا يصوتون في الانتخابات، فإن الصورة تبدو ديكتاتورية، فجميع الحكومات تحكم بالاستناد إلى أقلية، ولا توجد حكومة واحدة تحظى بتأييد ٥١٪ من مواطنيها على الإطلاق.

* في أحدث كتاب يتداوله الأمريكيون الآن بعنوان: «من يبلغ الشعب خيانة الديمقراطية الأمريكية؟!».

Who will tell the people the betrayal of American democracy?!

يقول مؤلفه الكاتب الأمريكي «وليم جرايدر»: «إن الشيء القائم وراء القشرة الرسمية الخارجية هو انهيار منظم للقيم المدنية المشتركة التي نسميها الديمقراطية. إن سلطة اتخاذ القرارات قد انتقلت من الكثرة إلى القلة، فبدلاً من الإرادة الشعبية أصبحت الحكومة تستجيب أكثر لخلايا السلطة اللصيقة بمصالح المنظمات الاقتصادية الكبرى والنخبة صاحبة النفوذ».

وتحت عنوان صناعة الرأي العام يقول:

«إن الرأي العام يُصنع صناعة، فعندما تريد صناعة السيارات إزالة مشروع قانون معروض على الكونغرس يطالبها بمراعاة مواصفات في إنتاجها تكفل توفيراً في استهلاك الطاقة؛ فإنها تعتمد على خبراء متخصصين بعمليات الضغط السياسي (اللوبي) تدفع له ٥٠٠ ألف دولار، فيقوم بإقناع من يهمهم الأمر بأن مشروع القانون هذا سيؤدي في النهاية إلى وقف إنتاج السيارات الأمريكية، فيتكون رأي عام أمريكي ضد المشروع على أساس زائف، ويخسر المشروع في الكونغرس وتكسب صناعة السيارات».

ثم يقرر جرايدر في كتابه: «إن القصة المعتادة للقوى العظمى هي

أنه عاجلاً أو آجلاً سيخبو المجد وتغوص في قاع الانحلال والمرارة؛ لأن هذه هي النهاية المعتادة لنظام سياسي يستمر بالحاح في تجاهل الواقع ولشعب أصبح مغترباً عن قيمه».

٣- العوامل الثقافية والحضارية:

يرى الباحثون والنقاد أن الثقافة الأمريكية الآن واقعة تحت تأثير العنصر التجاري والابتذال؛ بحيث لا يمكن القول بأن هناك إنتاجاً ثقافياً راقياً أو سامياً.

يقول كريستوفر لاشن في كتابه ثقافة النرجسية: «ليس هناك ظاهرة أخرى مماثلة في الأهمية تعلن عن سقوط الحضارة وزوالها كما في أمريكا، فالمجتمع الأمريكي فقد أيديولوجيته وديناميكيته وأصبح تطلعه إلى أدنى وليس إلى أعلى؛ فالعمل نفسه أصبح قيمة مكروهة في المجتمع الأمريكي ينفر منها الجميع، وتمثل مخالفات العمل أعلى نسبة من أي مخالفات أو جرائم، وهناك ظاهرة نوم العمال في المنشآت الذرية، وهروب الأطباء من عملهم حتى أثناء العمليات الجراحية والمرضى مخدرون وجراحهم مفتوحة!!».

إن المجتمع الأمريكي يتحرك بسرعة مذهلة إلى مجتمع تنفشى فيه الأمية والجهالة ويسوده التخلف، فهناك ٢٣ مليون أمريكي أكبر من ١٨ سنة أميون من الناحية الفعلية وغير مؤهلين لممارسة أي مهنة أو

وظيفة..

ويؤكد الباحثون بجامعة ستانفورد الأمريكية أن الثغرات الثقافية والمادية جعلت الأطفال الأمريكيين يعيشون الآن في ظروف أسوأ من ظروف الأجيال السابقة، وأن التأثير السلبي الضار للتلفزيون الأمريكي من أسباب مشكلات الأطفال التي تسببت في ارتفاع معدلات الانتحار بينهم، فالطفل الأمريكي يشاهد في الساعة الواحدة أكثر من ١٢ مشهداً عنيفاً في التلفزيون.

إن السينما - وهي العنصر الوحيد الذي يتقنه الأمريكيان - تغلب على أفلامها البدائية في المواضيع، وهي في الغالب أفلام الجريمة البوليسية والانهلال الخلقي^(٣) والجنس وأفلام رعاة البقر، كما أن الموسيقى المفضلة عند الأمريكيان هي موسيقى «الجاز» التي يصاحبها الغناء الصارخ مع ضجيج الآلات، وهي موسيقى تعكس طابع العنف والهياج، ثم إن الثقافة الأمريكية تدور كثيراً حول الجنس، ومعظم المجلات والصحف تتاجر في الجنس على صفحاتها. وقد ذكرت مجلة «لوموند دبلوماتيك» الفرنسية أن تجارة الصور المخلة بالآداب تبلغ مبيعاتها ١٠ مليارات دولار سنوياً في أمريكا.

٤- العوامل الاجتماعية:

أ) التفرقة العنصرية:

بعد انقضاء ٥٠٠ عام على اكتشاف كولومبس لأمريكا، وبعد مضي ١٤٤ عاماً على «ثورة العبيد» في كنساس الأمريكية، و٣٤ عاماً على

تشريع قانون حقوق المواطنين في أمريكا الذي يضمن حقوقًا متساوية للأفراد بغض النظر عن جنسهم ولونهم وعقيدتهم، وبعد ٣٠ عامًا على مقتل داعية حقوق الإنسان المدنية الأسود «مارتن لوثر كنج» - تندلع الثورة السوداء من جديد في أهم مركز مالي في الولايات المتحدة الأمريكية بعد نيويورك؛ من «لوس أنجلوس»، أو مدينة الملائكة كما يسمونها، والتي تعد أضخم منطقة صناعية أمريكية - لقد تحولت الولاية ذات الثلاثة ملايين ونصف إلى حلقات مترابطة من عناصر الدم، يخيم عليها العنف ويسودها السلب والنهب، ولم يكن السبب هو حكم المحكمة في قضية السائق «رودني كنج»، بل كان الانفجار تعبيرًا عن البركان الذي يغلي في صدور الزوج.

إن أخطر الاتهامات التي يمكن أن توجه إلى دولة من الدول المعاصرة هي تهمة العنصرية والتمييز العنصري، والمعروف أن هذا التمييز ما زال مستمرًا في واقع الحياة الأمريكية، ففي كتاب (موجز تاريخ الولايات المتحدة) لمؤلفيه آلان نيفنذ وهنري ماجر، يقول المؤلفان:

«إن الزوج في أمريكا لا يزالون مواطنين من الدرجة الثانية محرومين من الحقوق السياسية ومعرضين لمهانات لا تنقطع، فأبناء الزوج يتعلمون في مدارس أقل شأنًا من مدارس البيض، والشباب الزوج محرومون من دخول جامعة الولاية، والزوج يجلسون في

حافلات لا يركبها البيض، ويلعبون في ملاعب خاصة بهم، بل يعبدون الله في كنائس للسود! ويعيّنون في أعمال أقل شأنًا من أعمال البيض وبأجور أدنى، ويُحصرّون في أحياء فقيرة، وإذا كان الشنق على أيدي البيض قد ولى، فإن الاغتيال لم يول، وفي وسع البيض أن يقتلوا الزوج ويفلتوا من العقاب.

(ب) الجريمة والمخدرات:

إن الجريمة في أمريكا ترتفع معدلاتها وتتطور تقنيًا وتزداد وحشية وضراوة، إلى حد أن السلطات تضطر للإفراج عن آلاف المساجين ذوي الجرائم البسيطة كي تفسح الأماكن للمساجين الخطرين، ثم إن جميع وسائل مكافحة الجريمة وردعها وتوعية الناشئة لا تجدي؛ لأن طبيعة المجتمع الأمريكي في الأصل قائمة على الجريمة والقسوة والعنف، وتعتبر عشرات الأحياء في نيويورك وواشنطن ولوس أنجلوس أحياء مغلقة ومحظور التجول فيها؛ حيث يحكمها الشواذ والقتلة وتجار المخدرات ولا أثر فيها للأمن والقانون، إضافة إلى استهلاك المجتمع الأمريكي ٦٠٪ من الإنتاج العالمي للمخدرات، وهو يمثل سوقًا داخليًا حجمه ١٠٠ مليار دولار، وهو الرقم الذي يتجاوز بكثير إيراد المزارعين الأمريكيين.

(ج) انتشار الأمراض والأوبئة (الإيدز):

إن أمريكا التي ابتعدت عن طريق الله وسارت في طريق الشيطان - حيث العهر والشذوذ والانحراف والفساد - تجني الآن حصاد ما

غرس، وتعيش عقوبة إلهية تمثلت في انتشار مرض الإيدز (فقدان المناعة) والناتج عن الاتصالات الجنسية الشاذة.

بالرغم من ذلك فإن أمريكا تحتفل كل عام باللوطين والشواذ، وجعلت لهم عيداً خاصاً بهم يسمى «يوم تحرير اللوطين»، كما أن لهم جمعيات ونقابات، ويتمتعون بأكثر الحقوق والمعنويات داخل أمريكا، وخاصة في عهد الرئيس كلينتون، الذي استهل عهده بـ بلقائه مع الشواذ، كما قررت إدارة الرئيس كلينتون تعيين روبرت إتشيتنبرج Roberta Acjtenberg عمدة مدينة سان فرانسيسكو نائباً للوزير الإسكان في الإدارة الجديدة، وهو أول رجل يجاهر بشذوذه ويعين في هذا المنصب الكبير^(١)، كما أن المظاهرة السياسية التي نظمت أمام البيت الأبيض تعد من الأنشطة المهمة التي قام بها الشواذ في أمريكا؛ حيث بعث الرئيس كلينتون برسالة لهم كان نصها: «إني أؤيد الكفاح من أجل المساواة بين كل فئات الشعب الأمريكي بما فيهم الشاذون جنسياً من الرجال والنساء، أنا أعتقد أن الذي يعمل بجهد يستحق أن يكون جزءاً من هذا المجتمع، لنعمل سوياً.. لنحول هذه الرؤية إلى حقيقة».

أما على صعيد النشاط النسوي، Lesibians فهناك ما يقرب من مليونين إلى ثلاثة ملايين امرأة شاذة؛ حيث تعد مدينة نورث أمبتون North ampton في ولاية ماساتشوستسي الأمريكية مأوى للشاذات من النساء.

تقول مصادر استطلاعات الرأي العام: إن هناك عشرة آلاف من النساء الشاذات صرّحن بأن هذه المدينة تمثل «وطنهم» الأول، وتقول حاكمة المدينة - ميرى فورد Mary ford وهي امرأة سوية: «إن جوهر القضية هو الظهور العلني هؤلاء النسوة وليس عددهن»^(٢)، أي أن الأمر لا يتعلق بمبدأ رفض الشذوذ وتطهير المدينة من السحاق، ولكنه حول سيطرة أتباع هذا الاتجاه على الحياة في نورث أمبتون.

يقول محمد قطب^(٣): «لقد تحول المجتمع الغربي إلى فتنة، دواره كل إنسان يبحث فيها عن المتاع Engoy yourself وقد عمق اليهود الرغبة في المتاع الزائد عن الحد لحسابهم الخاص، حتى حولوا المجتمع الغربي إلى ماخور كبير يعج بالفساد، تفوح منه رائحة الدنس المتن، ومع ذلك تظل «الديدان البشرية» تشرح فيه وتمرح غير شاعرة بالتن، بل مستعذبة إياه!

وهذا مأرب من مأرب اليهود يهدف إلى تحطيم حاجز الأخلاق، وهو أحد الحواجز الواقية للإنسان من أن يعيش كالبهيمة أو يركبه الشيطان». وحسبنا أن نذكر هنا نشاط اليهود في إنشاء أقبية الفساد وأوكار الرذيلة في المدن الغربية الكبرى؛ حيث نشروا وباء الشذوذ الجنسي وجعلوه تجارة رابحة، وتشهد على ذلك كهوف السان جرمان في باريس

(١) مجلة نيوزويك.

(٢) كتاب رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر - محمد قطب.

(١) مجلة نيوزويك الأمريكية ١٢/٦/١٩٩٣م.

وأقبية البيكاديللي وحي سوهو في لندن، وكذلك بارات معروفة في نيويورك وهوليوود وسان فرانسيسكو وميونخ والسويد والنرويج والدانمارك وهولندا وغيرها^(١).

وأخيراً... فقد حدثنا القرآن الكريم عن الأمم التي انتشر فيها فساد الأخلاق ووباء الشذوذ الجنسي، وبين ما آلت إليه الشعوب من انحراف ودمار بما يؤكد في مضمونه على حتمية العقوبة «وحتمية السقوط»:

﴿وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ • أَلَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾

[النمل: ٥٤ - ٥٨].

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ • مُّسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾

[هود: ٨٢، ٨٣].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ • فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٣، ٧٤].

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ [القمر: ٣٤].

ويقول رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط»^(٢).

(١) النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية - فؤاد الرفاعي.

(٢) صحيح الترمذي: ١١٧٨/٢.

دراسات أمريكية تتوقع السقوط



(وشهد شاهد من أهلها)

أصبح موضوع انهيار وسقوط الإمبراطورية الأمريكية حديث الساعة بين المفكرين والإستراتيجيين في أمريكا ذاتها وفي كل العالم، وبكل اللغات، ويكفي من يريد الاطلاع على آلاف الدراسات والوثائق حول هذا الموضوع البحث عبر محرك البحث جوجل، وسيرى مئات الآلاف من العناوين عن «انهيار الإمبراطورية الأمريكية» حيث يوجد ١٨٦,٠٠٠ عنواناً)، وعن «سقوط الإمبراطورية الأمريكية» (١٦٣,٠٠٠ عنواناً)، وبالبحث باللغة الإنجليزية عن «The Collapse of the American empire»، يوجد (٣٥٩,٠٠٠ عنواناً).

ولقد صدر في أمريكا مؤخراً عشرات الكتب التي تتحدث عن انهيار الإمبراطورية الأمريكية، أبرزها كتاب «حدود القوة.. نهاية الاستثنائية الأمريكية» الذي كتبه أندرو باسيفتشن أستاذ التاريخ والعلاقات الدولية بجامعة بوسطن.

وكتاب «حرب الثلاثة تريليون دولار» الذي كتبه جوزيف ستيجلتزر الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام ٢٠٠٠م وليندا بيلمر

أستاذة السياسة العامة بجامعة هارفارد.

وفي هذا الباب نعرض أربعة من أهم الدراسات والكتب الأمريكية التي تعرضت لواقع المجتمع الأمريكي من وجهة نظر مؤلفيها الأمريكيين؛ حيث إن شهادتهم تعد ترجمة صادقة للواقع التصديع الكبير في بنية المجتمع الأمريكي، وهي بذلك تكون أصدق تعبيراً من أية كتابة أخرى؛ حيث ينطبق عليها القول: (وشهد شاهد من أهلها). وهذه الدراسات يجمعها موضوع مشترك هو مناقشتها للقضايا والمشكلات التي يعاني منها المجتمع الأمريكي في النواحي السياسية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها، وهي كما يلي بالترتيب:

١- نحن القوة الأولى: أين تقف أمريكا وأين تسقط في النظام العالمي الجديد؟ تأليف: أندرو شابيرو.

٢- دولة من شعبين، البيض والسود، تميز وانفصال وعداء.. تأليف: أندرو هيكس.

٣- السقوط التراجيدي: أمريكا عام ٢٠٢٠.. تأليف الجنرال المتقاعد: هاميلتون هوز.

٤- ليست للبيع بأي، ثمن، كيف نحفظ أمريكا لأطفالنا؟ تأليف: روس بيرو.

الدراسة الأولى

نحن القوة الأولى:

أين تقف أمريكا؟

وأين تسقط في النظام العالمي الجديد؟

We Are Number One:
Where America Stands and falls
in the New World Order?

تأليف

أندرو شابيرو

Andrew Shapiro

نحن القوة الأولى:

أين تقف أمريكا وأين تسقط في النظام العالمي الجديد؟

أصدر هذا الكتاب أندرو شابيرو Andrew Shapiro عام ١٩٩٢م، وهو كتاب هز المجتمع الأمريكي بقوة أيقظته بفرع من الأحلام النرجسية التي بناها السياسيون الأمريكيون، على إثر انتصارهم في حرب الخليج الثانية ١٩٩١م، وسقوط الشيوعية بسقوط الاتحاد السوفيتي في العام ذاته، وبأنهم قد نجحوا في بناء المجتمع العظيم.

ومصدر قوة هذا الكتاب تأتي من موضوعيته في الطرح، وشموليته في عرض القضايا الموثقة بالأرقام والإحصائيات، ومقارنة المجتمع الأمريكي بغيره من المجتمعات الصناعية.

يقول المؤلف في مقدمة كتابه:

«إنه في السنة التي أعقبت انتصارنا في حرب الخليج وسقوط الشيوعية عادت مقولة «نحن القوة الأولى» إلى الأمريكيين مرة أخرى، وقد أكد الرئيس جورج بوش أن أمريكا هي: «القوة التي لا تهزم» كما قالت صحيفة النيويورك تايمز: «إننا لا نزال القوة الأولى».

ثم يعلق المؤلف على ذلك بقوله: «ولأن اقتصادنا ينهار والعناية

الصحية أصبحت قضية خطيرة في مجتمعنا وثقتنا في الحكومة والقادة السياسيين بدأت تتلاشى، فإن الشعب الأمريكي بدأ الآن يتساءل: هل لا تزال أمريكا القوة الأولى حقيقة؟».

ثم يجيب المؤلف ويقول: «إن أمريكا هي الدولة الأولى التي تضم عددًا كبيرًا من المليونيرات وأصحاب الأموال في العالم، لكن أمريكا أيضًا هي الدولة الأولى التي يعيش أكبر عدد من أطفالها فقرًا مدقعًا من بين تسع عشرة دولة صناعية، أمريكا تحتل المرتبة الأولى أيضًا في الإنفاق على الشئون الصحية، لكنها الأولى في عدد الوفيات والموت الجماعي للأطفال الرضع. أمريكا دولة غنية وفقيرة في الوقت نفسه، متقدمة طبيًا، لكن الشعب يعاني من أمراض مزمنة، متقدمة علميًا لكن الشعب ليس مثقفًا!! وباختصار فإن كثيرًا من الشعارات التي نرفعها تناقض حقيقتنا وواقعنا».

وهذا الكتاب يشير إلى الأخطار التي تعصف بالولايات المتحدة ولا تزال تتجاهلها؛ لأنها تعيش نشوة الانتصار العالمي التي من شأنها أن تحجب الحقيقة التي يعيشها المجتمع الأمريكي.

السياسة: علق الباحث في الفصل الذي خصصه للحديث عن السياسة الأمريكية على «الديمقراطية الأمريكية» وقال:

«إنها أصبحت النظام السياسي الأمثل في نظر كثير من دول العالم، خاصة بعد سقوط النظام الشيوعي» ثم يقول:

إنه من الغريب حقاً أنه في الوقت الذي فتنت الديمقراطية الأمريكية الكثير من الجماهير العالمية، إلا أن المواطنين الأمريكيين الذين يعرفون حقيقة نظامهم السياسي ساخطون عليه وغير راضين عنه، يقول ديوني E-Dionne في كتابه: «لماذا يكره الأمريكيون السياسة؟»:

إنه بالنسبة لكثير من الأمريكيين فإن السياسة لا تزال غامضة ومجهولة، وينظرون إليها كمشاهد رياضية تستحق الفرجة. إنه في الوقت الذي ينظر الناس خارج الولايات المتحدة إلى الديمقراطية كمصطلح سياسي مثالي وجدير بالتطبيق، إلا أنها في تطبيقها العملي داخل أمريكا تعاني من المشكلات والمتناقضات، فما الذي نرجوه من دولة تدعي الديمقراطية ينفق فيها الرجل العادي ما يقرب من ثلاثة ملايين دولار كي يفوز بمنصب سناتور في الكونجرس؟

وما الذي نرجوه من دولة ديمقراطية تنفق اللجان السياسية فيها أكثر من مائة وستين مليوناً لتعزيز مكانتها وضمان تأثيرها في الكونجرس الأمريكي؟

إنه بسبب التناقض والفارق الكبير بين الديمقراطية التي نسعى إلى تصديرها خارج أمريكا والديمقراطية الحقيقية التي نمارسها في مجتمعنا - أصبح الشعب الأمريكي لا يؤمن بهذا المصطلح ويتحفظ عليه، ثم إن مشكلات اقتصادية مثل الادخار Saving، والقروض Lonas، وسياسية مثل المساومات على ميزانية الدولة والفساد السياسي

Corruption Political، والأزمات والفساد الأخلاقي - كلها عوامل تحد من ثقة الشعب الأمريكي في حكومته.

الاقتصاد: الولايات المتحدة هي بلاد الفرص المتعددة، لكنها بدأت الآن - وبشكل متزايد - تبدو بلاد المتناقضات. ويبدو أن الحقائق والواقع المتناقض هو الذي يفسر الحالة الاقتصادية الراهنة.

إن أمريكا بلاد غنية وفقيرة في الوقت نفسه، هناك طبقة من الشعب تعيش حياة مترفة، وطبقة أخرى مشردة ولا تجد لها مسكناً.

إن أمريكا تتقدم الدول الصناعية في نسبة الإنفاق على الدفاع وتعزيز قدرتها العسكرية، وفي المقابل تحتل المركز الأخير في نسبة الإنفاق على مواطنيها الذين يعيشون في فقر مدقع، وعلى كبار السن والمصابين بكل أنواع الإعاقة الذهنية والجسدية.

الجدول التالي يوضح الفروق بين الولايات المتحدة وغيرها من الدول الصناعية الأخرى في حجم الإنفاق على الدفاع من جانب، والإسكان والضمان الاجتماعي والخدمات الاجتماعية العامة من جانب آخر:

الدولة	نسبة الإنفاق على الدفاع	نسبة الإنفاق على الإسكان والضمان الاجتماعي والخدمات العامة
السويد	٦,٥٪	٥٥,٩٪
سويسرا	١٠,٣٪	٥٠,٦٪
ألمانيا	٨,٧٪	٤٩,٤٪
النمسا	٢,٧٪	٣٨,٣٪
بلجيكا	٤,٧٪	٤٣,٩٪
فرنسا	٦,١٪	٤٠,٧٪
هولندا	٥,٠٪	٤٠,٦٪
النرويج	٧,٨٪	٣٩,٦٪
إيطاليا	٣,٦٪	٣٨,٦٪
الدانمارك	٥,٤٪	٣٧,٨٪
كندا	٧,٣٪	٣٧,٠٪
أستراليا	٦,٥٪	٣٧,٠٪
فنلندا	٥,١٪	٣٦,٥٪
المملكة المتحدة	١٢,٥٪	٣٤,٨٪
نيوزيلندا	٤,٨٪	٣٣,٨٪
أيرلندا	٢,٨٪	٣٠,٣٪
اليابان	٦,٥٪	٣٠,٣٪
أستراليا	٨,٩٪	٢٩,٣٪
الولايات المتحدة	٢٩,٦٪	٢٩,٣٪

التعليق: لقد بدا واضحاً تأثير النظام التعليمي المتدهور في أمريكا، فهناك ما يقرب من ٢٧ مليون أمريكي تنطبق عليهم مواصفات الأمية، وهؤلاء الأميون لا يستطيعون التدريس لأطفالهم أو فهم إشارات المرور في الشوارع أو قراءة البيانات المتعلقة بطلبات التوظيف، هذا بالإضافة إلى ٤٠ مليون أمريكي من ذوي الأعمار المتوسطة يجدون صعوبة بالغة في قراءة الصحف أو الوثائق الرسمية.

أوضحت الدراسات التي أجرتها المنظمات التعليمية العالمية أن الطلبة الأمريكيين في سن الثالثة عشرة يحصلون على أقل الدرجات وأضعف المستويات في امتحان الرياضيات -مثلاً- من بين طلبة سبعين دولة في العالم، أما المواد العلمية التي تدرس في المدارس الأمريكية، فإن الكثير من الطلبة الأمريكيين يعتقد أنها غير مفيدة لهم في حياتهم ولا تمثل أهمية تذكر.

ولذلك فقد جاء ترتيب أمريكا الخامسة عشرة بين سبع عشرة دولة شارك طلابها في امتحان للمواد العلمية أجرته الجمعية الدولية لتقويم التحصيل العلمي.

International Association For the the Evaluation of Educational Achievement

أما بالنسبة لعدد العلماء في المجتمع الأمريكي فإنه على الرغم من حصول أمريكا على معظم جوائز نوبل للعلوم، فإن هناك أكثر من ثمان وعشرين دولة (بما فيها الدول الصناعية) تتقدم أمريكا في عدد العلماء.

لكن المواقف الجيدة

الحياة الاجتماعية:

تتقدم أمريكا الدول الصناعية في نسبة المواطنين الذين كانوا ضحية الجريمة، وقد عُلقت على هذا الموضوع دراسة أجريت عام ١٩٨٨م بقولها: «إن أغنى الدول في العالم قد فشلت في إيجاد مجتمع آمن لشعبها، بل كانت لها الصدارة في نسبة ارتفاع معدلات الجريمة».

وقد تقدمت أمريكا الدول الصناعية الأخرى في أنواع الجرائم التالية: القتل، الاعتداء الجنسي، السطو على المنازل، السرقة من السيارات، الاعتداء على الآخرين بالضرب وتعرضهم للإصابات.

إن كل ذلك يجعل العالم ينظر إلى المجتمع الأمريكي - كما ذكر الباحث - على أنه من أكثر المجتمعات عنفاً وقسوة على وجه الأرض.

تصدر أمريكا قائمة الدول الصناعية في عدد حالات الاغتصاب المسجلة رسمياً، ونسبة ٢١٪ من نساء أمريكا قد تعرضن للاغتصاب قبل بلوغهن الرابعة عشرة من عمرهن.

يقول المؤلف: ^(١) إن واحدة من كل عشر فتيات أمريكيات بين سن الخامسة عشرة والتاسعة عشرة ^(٢) تظهر عليها أعراض الحمل نتيجة الممارسات الجنسية غير المشروعة، ونصف عدد المراهقات يضعن أولاداً غير شرعيين، ونسبة ٣٦٪ ^(٣) منهن يجهضن الجنين.

الأولى في الإيدز:

تمثل الولايات المتحدة المركز الأول بين الدول الصناعية في عدد

الإصابات بمرض «الإيدز»؛ حيث بلغت عام ١٩٩١م عدد الإصابات ٩٠٠,٠٠٠ للكبار، و٤٠٠,٠٠٠ للأطفال، وأكثر من ١٣٠,٠٠٠ أمريكي قد ماتوا بالفعل بمرض الإيدز، وقبل حلول عام ١٩٩٣م أصيب أكثر من ٤٨٠,٠٠٠ أمريكي بالمرض.



الدراسة الثانية

دولة من شعبين:

البيض والسود

تمييز، وانفصال، وعداء

Two Nations :
Black and White
Separate, Hostile, Unequal.

تأليف

أندرو هيكير

Andrew Hacker

١٩٩١



دولة من شعبين

البيض والسود.. تمييز وانفصال وعداء

أصدر البروفيسور أندرو هيكير **Andrew Hacker** هذا الكتاب عام ١٩٩٢م، تناول فيه قضية العنصرية بين المواطنين البيض والسود في أمريكا وانعكاساتها على مسيرة المجتمع الأمريكي وآثارها على كلتا الفئتين.

والمؤلف يعمل أستاذًا في قسم العلوم السياسية في كلية كوينز **Queens College** في مدينة نيويورك، وكان قبل ذلك أستاذًا في «علم الحكومة» في جامعة كرونيل **Cronell University**.

وقد صدرت له دراسات في الفلسفة السياسية، ونشر مجلدًا ضخماً بعنوان «نهاية العهد الأمريكي»، كما أن له مشاركات في دوريات علمية وكتابات في الصحف والمجلات الأمريكية.

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب: إن كل واحد يستطيع أن يضع مصنفًا حول موضوع العنصرية الطائفية في أمريكا، ولكن النص الحقيقي لمثل هذا المصنف مطبوع في عقولنا وظهر أثره في شخصيتنا وسلوكنا. إن تقسيم الناس إلى طوائف وأعراق بدأ كظاهرة إيجابية تميز أقليات معينة من الناس عن غيرهم، لكن هذا التقسيم أو التصنيف العرقي قد أثر سلبًا على حياة الناس وسيطر على عقولهم وثقافتهم وغير في معاني الكثير من الحقائق عن هذه الطوائف.

تقسيم المجتمع الأمريكي: يقسم المؤلف المجتمع الأمريكي إلى فئتين: البيض وهم الأكثر، والسود وهم الأقلية، ويقول:

يمكننا النظر إلى أمريكا على أنها دولة تتكون من شعبين: البيض وهم الأغلبية المسيطرة، والسود وهم الأقلية المضطهدة. ويقول:

إن الشد العرقي بين المواطنين السود وأقرانهم البيض الذي يملأ دخانه أجواء هذه البلاد - لا يمكن تجاهله. الناس الآن ييوتون بمشاعر العداء والغضب التي طالما حاولوا كتمانها وكبح جماحها في الماضي، لقد أصبحت العنصرية الموضوع الأساسي في الأحاديث الشخصية أو العامة بين فئات كثير من أفراد الشعب الأمريكي.

ماذا يعني أن تكون أسود في أمريكا:

يجيب المؤلف على هذا التساؤل فيقول:

أن تكون مواطنًا أسود في أمريكا يعني في نظر الغالبية البيض أنك ستظل منتسبًا إلى السود، ومن ثم تعاني من نظرة الآخرين المجحفة حتى لو صنفت كتابًا عن فن النحت المعماري في عصر النهضة الأوربية، فإنك سوف توصف بـ «المؤلف الأسود»، وعلى الرغم من أنك أمريكي أصلي، وقد تكون من سلالة أمريكية أكثر أصالة من بعض المواطنين البيض، فإنك لن تمنح أبدًا العضوية الكاملة في المجتمع!! وقد تشعر أن

الكثير من المواطنين البيض الذين تجلس معهم سيتنفسون الصعداء عندما تغادر مجلسهم.

أن تكون مواطناً أسود معناه: وجوب عزلك عن جيرانك البيض حتى لا تنقل إليهم عدوى التخلف، وقد تشعر أنك الشخص الوحيد الملون في مناسبة من المناسبات، أو الطالب الوحيد الملون في قاعة الدراسة، أو الأسود الوحيد من بين أعضاء هيئة المحلفين في إحدى المحاكم، أو الشخص الملون الوحيد في مناسبة اجتماعية أو في مجلس إدارة إحدى الشركات، وقد يكون معك بالصدفة شخص أو اثنان من الملونين وهنا يخالجك الإحساس أن كل الأنظار متجهة إليك، وتختار في كيفية التعامل مع مثل هذه النظرات، لكنك تدرك تمامًا أن وجودك بين هؤلاء الأشخاص من ذوي البشرة البيضاء يمثل مصدر إزعاج لهم، وحيث إن الواقع يقول: إنك موجود. فإنهم مضطرون إلى إبداء مشاعر الرضا تجاهك، وهي مشاعر لا تتعدى حدود المجاملة فقط.

النوظيف:

يعتقد الكثير من الناس أن المجتمع الأمريكي قد أعطى المواطنين السود الكثير من حقوقهم، وأنهم على درجة المساواة مع أقرانهم البيض، وقد يكون السبب في ذلك ما علق في أذهانهم خطأ من تلك الأسماء اللامعة التي تمثل شريحة معروفة من الأمريكيين السود في مجالات السياسة والإعلام والفن والرياضة وغيرها.

نعم فتح المجتمع الأمريكي باب التوظيف للمواطنين السود - ولكن في كثير من المجالات الأخرى - وبخاصة في القانون والطب والهندسة والإعلام أيضًا - لا يزالون يواجهون مضايقات من جراء وضع العراقيين والمعوقات أمام توظيفهم.

سياسة قائمة على العنصرية:

إنه من المفترض أن يعمل السياسة على تحقيق العدل وتهيئة الظروف التي تكفل الأمن والاستقرار حتى يتمكن الناس من العيش والعمل والإنتاج، ولكن العقوبات الحقيقية التي تواجهها الأقلية السوداء سببها الأساسي السياسي السياسيون أنفسهم، الذين بدءوا يضيقون الخناق على المواطنين السود، ومن غريب الأمور في موضوع العنصرية السياسية أن أحد الحزبين الرئيسيين في أمريكا - وهو الحزب الجمهوري - قد صرح علانية أنه حزب سياسي للمواطنين الأمريكيين البيض، وأنه يهدف إلى تحقيق مصالح البيض في أمريكا.

إن الأمريكيين يريدون من العالم أن ينظر إلى المجتمع الأمريكي على أنه مجتمع «الإنسان الأبيض»، قد لا يعبرون عن ذلك بشكل علني صريح، ولكن ما يفعله الحزب الجمهوري هو بالتأكيد صريحة وعلانية متناهية، والهدف من ذلك هو تذكير الأمريكيين دائمًا بهذه الحقيقة.

كما أن ثمة ملاحظة؛ إن الكثير من الناخبين البيض في أمريكا يصوتون للمرشح الأبيض والناخبين السود يصوتون للمرشح

الأسود، وفي الوقت نفسه نجد أن البيض والسود على حد سواء يفتخرون بالرجل الأبيض أو الأسود عندما يفوز بمنصب كبير ومؤثر في المجتمع الأمريكي، وهذا كله ينضوي تحت مفهوم «الطائفية السياسية».

الدراسة الثالثة

السقوط التراجيدي
أمريكا عام ٢٠٢٠م

The Tragic Descent
America in 2020

تأليف

الجنرال المتقاعد: هاميلتون هوز

Hamilton Howze
1992

السقوط التراجيدي

أمريكا عام ٢٠٢٠م

أصدر الجنرال المتقاعد «هاميلتون هوز» هذا الكتاب آخر عام ١٩٩٢م بعد أن جمع مادته من خلال قراءته المتأنية وغوصه في واقع الحياة الأمريكية المعاصرة في كل ميادينها، وهو عبارة عن وجهات نظر شخصية من مواطن أمريكي تقلب في عدة مناصب عسكرية وتحمل تبعات قرارات سياسية وعسكرية على درجة عالية من الحساسية والتأثير على بلاده عندما كان قائدًا لسلاح الجو الأمريكي، ثم قائدًا لقوات الأمم المتحدة في كوريا، ثم مستشارًا في وزارة الدفاع الأمريكية بعد تقاعده.

يذكر الجنرال هاميلتون في مقدمة الكتاب الأسباب التي شجعتة على إصداره فيقول:

«إن رأيي الذي أعرضه في ثنايا هذا الكتاب مبني على ما حدث للشعب الأمريكي من تغير في الأعراف وأنماط السلوك منذ ١٩٤٥م، وهي السنة التي انتهت فيها الحرب العالمية الثانية، لقد كانت أمريكا في وقت من الأوقات أكثر دول العالم أمانًا واستقرارًا وأكثرها تطورًا في مجالي السياسة والتكنولوجيا، والذي دعاني لإصدار هذا الكتاب هو اعتقادي - وهو اعتقاد يشاركني فيه الكثير من الأمريكيين - أن أمريكا

لم تعد أمريكا السبعينات والثمانينات الميلادية من حيث القوة والتطور، نعم لا تزال أمريكا دولة غنية وبها مواهب وكفايات بشرية وميزات لا توجد في غيرها من الدول الأخرى، وهي أشياء ورثناها من الماضي، لكن العالم الآن لا ينظر إلى أمريكا كقوة فريدة في العالم، ولا بصفتها المصدر الرئيسي للخبرة والإنتاج الصناعي.

النحول الأخلاقي:

تحت هذا العنوان يقول الجنرال هاميلتون:

إن من الظواهر الاجتماعية التي لم نعهدها في السابق وباتت مألوفة اليوم وستؤثر على مستقبلنا في الغد - ظاهرة تحول الرجال إلى نساء والنساء إلى رجال بدعوى «الحرية الشخصية». إن الإفراط في ممارسة الحرية في مجتمعنا تجاوز كل الحدود، وتخطى كل الأنماط السلوكية التي يمارسها الفرد إلى الإنسان ذاته؛ بتغيير جنسه من ذكر إلى أنثى أو من أنثى إلى ذكر لأسباب عاطفية أو لشذوذ جنسي يؤدي به إلى تغيير خلقه، وهذه الظاهرة قد انتشرت في أمريكا وأصبحت تعرضها وسائل الإعلام الأمريكية بكل حرية تخدش بها الحياء العام، وتصيب المشاهد بالتقزز والاشمئزاز من هذه الفئة التي اختارت تغيير تركيبها البيولوجية لأسباب ساذجة.

وهناك ظواهر تعد من معالم المجتمع الأمريكي؛ مثل الانتشار الكبير لموسيقى الروك الصاخبة، وشدة تعلق الأمريكيين بها، وهي

موسيقى مبتذلة وكلماتها مبتذلة، ومع ذلك فإنها تسلب لب الكثير من الأمريكيين وهي دلالة على تعلقهم بكل ما هو بذيء وساقط.

إن الكثيرين يتوقعون أن اللواط سيكون بديلاً للعلاقات الجنسية الطبيعية بين الرجل والمرأة في أمريكا قبل حلول عام ٢٠٢٠م، وسيكون زواج الشاذين جنسياً من بعضهم البعض، سواء كانوا رجالاً أم نساء مقبولا وشائعاً، إن الصديقين الشاذين من الرجال أو النساء سواء كانا متزوجين أو يقطنان في بيت واحد كما نشاهد الآن في عام ١٩٩٢م، سيجدان قبولا واستحساناً عاماً لسلوكهما من المجتمع بكل فئاته، ولن يقابلا بالرفض أو الاشمئزاز في المستقبل القريب، وكل ذلك سيتم بدعوى «الحرية الشخصية» للمواطن الأمريكي، وهذا أيضاً مؤشر على التحول الخطير في القيم الاجتماعية في أمريكا.

قال لورانس جولد Lourence Gould في تعليق له على ما يجري في أمريكا: «أنا لا أعتقد أن الخطر الأكبر الذي يهدد مستقبلنا يتمثل في القنابل النووية أو الصواريخ الموجهة آلياً، ولا أعتقد أن نهاية حضارتنا ستكون بهذه الطريقة. إن الحضارة الأمريكية ستزول وتنتهي عندما يصبح عديمي الاهتمام وغير مباليين بما يجري في مجتمعنا، وعندما تموت العزيمة على إبقاء الشرف والأخلاق في قلوب المواطنين».

وقال آرنولد توينبي Arnold Toynbee أيضاً: «إن معظم الحضارات التي عرفها الإنسان قد سقطت من الداخل ولم تسقط لأن قوى

خارجية استولت عليها».

العجز في الميزانية:

من أهم ما يعاني منه الاقتصاد الأمريكي في الوقت الحاضر هو الديون الكبيرة التي فاقت كل تصورات الساسة والاقتصاديين، في عام ١٩٤٠م كان مجموع ديون أمريكا ٤٣ بليون دولار، وفي عام ١٩٥٠م وبسبب الإنفاق الهائل على الحرب العالمية الثانية ارتفع الرقم إلى ٢٥٦ بليون دولار، وقبل عام ١٩٨٠م بلغ مجموع الديون ٩٠٨ بليون دولار، ومنذ (١٩٨٠ - ١٩٨٨م) زادت ديون أمريكا إلى ٢,٦ تريليون دولار، وفي عام ١٩٩٢م قارب دين أمريكا ما مجموعه ٤ تريليونات دولار أي ٤٠٠٠ بليون دولار، وإذا ما استمرت هذه الزيادة بمعدلاتها الحالية فإن ديون أمريكا، ستصل إلى ما مجموعه ١٠,٢ تريليون دولار قبل حلول عام ٢٠٢٠م، وهي إشارة تدل على جسامه الأزمة التي سيمر بها الاقتصاد الأمريكي، والتي ستجعل من أمريكا دولة هزيلة ضعيفة وغير قادرة على منافسة القوى الاقتصادية الأخرى التي بدأت تظهر على الساحة اليوم.

السقوط المأساوي... أمريكا عام ٢٠٢٠م:

يختتم الجنرال «هاميلتون هوز» كتابه بهذا الفصل الأخير الذي حمل عنوان الكتاب، ويعرض فيه رأيه بإيجاز عن الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للولايات المتحدة عام ٢٠٢٠م بعد أن تحدث بتفصيل عن بعض الظواهر التي يعاني منها المجتمع الأمريكي فيقول:

«لقد رسمت صورة كثيفة ومحزنة لأمريكا من خلال فصول هذا الكتاب، ولا أدعي أن رأيي غير قابل للخطأ، إلا أنني لست الوحيد الذي رسم هذه الصورة المرعبة والمخيفة عن أمريكا، وأجد نفسي مضطراً لأن أردد ما قاله آرثر كروك Arthur Krock: «يساروني خوف شديد من أن فترة سيادة الولايات المتحدة وبروزها كقوة عظمى ووحيدة في العالم ستكون من أقصر الفترات في التاريخ».

إن أمريكا الآن عام ١٩٩٢ م تواصل انحدارها وانجرافها اجتماعياً وأخلاقياً. لقد هجر الأمريكيون الكثير من القيم السياسية والأخلاقية التي ساهمت في جعلهم من أقوى شعوب الأرض في وقتنا الحاضر، لقد وصل الأمريكيون إلى درجة من الانحراف جعلتهم يسمون الأشياء بغير أسمائها ويفسرون الحقائق بغير مفهومها على كل المستويات؛ في المجتمع وفي الكونجرس وفي السلطة القضائية.

أما الحرية، فقد أساء الكثير إلى مفهومها وتمادى في ممارستها حتى تلبي رغباته الشخصية، ولو كانت على حساب القيم والأعراف والأنماط السلوكية السائدة في المجتمع.

إن الولايات المتحدة تعيش في حالة غير طبيعية من الاشمئزاز والتقزز وخيبة الأمل، وليس السبب في ذلك كله الحكومة وحدها؛ بل إن الشعب أيضاً أسهم وبشكل كبير في هذا الانحدار الخطير، إنه سقوط ولكن من نوع آخر!!

الدراسة الرابعة

ليست للبيع بأي ثمن..
كيف نحفظ أمريكا لأطفالنا؟

Not For Sale At Any Price:
How We Can Save America For
Our Children?

تأليف

روس بيرو

Ross Perot

1993



ليست للبيع بأي ثمن كيف نحفظ أمريكا لأطفالنا؟

يناقش هذا الكتاب بالدرجة الأولى المشكلات التي تعاني منها أمريكا اليوم، مع اهتمام واضح بالوضع المتردي للاقتصاد الأمريكي، ويذكر بعض أسباب هذه المشكلات من خلال التركيز على الأسباب السياسية بوجه خاص لتأثيرها على الحياة الاقتصادية لأمريكا.

«وروس بيرو» Ross Pero هو رجل أعمال أمريكي من ولاية تكساس، ومن أغنى أغنياء الولايات المتحدة، رشح نفسه لانتخابات الرئاسة الأمريكية عام ١٩٩٢م، لكنه سقط في الأدوار التمهيدية للمنافسة الانتخابية؛ حيث كان يمول حملاته الإعلامية بأمواله الخاصة.

نحن نملك هذه الدولة:

تحت هذا العنوان يقول روس:

لقد كنا أغنياء وأقوياء لفترة طويلة من الزمن، حتى خلنا أننا قد ضمنا البقاء على ذلك الحال، أما اليوم، فإن بلادنا تواجه منعطفًا خطيرًا في تاريخها، إننا نواجه مشكلات اقتصادية خطيرة جدًا.

إن الخدم^(١) المنتخبين قد أساءوا استخدام أموال الدولة، ويمكننا

(١) لفظ الخدم من عند بيرو.

القول ببساطة: إن الحكومة الآن لا تعمل بالطريقة التي رسمها لها المؤسسون الأوائل للولايات المتحدة Founding fathers، كل من الرئيس والديمقراطيين والجمهوريين يلوم بعضهم بعضًا، والجميع يتفق على التهرب من مسئولية التدهور الاقتصادي الذي تعاني منه البلاد، وبخاصة الديون الاقتصادية التي بلغت أربعة تريليونات دولار، كما أن السياسيين -أيضًا- نادرًا ما يتحدثون عن القضايا الاجتماعية التي تعاني منها البلاد، إنهم لا يذكرون أبدًا أن أمريكا هي أكثر الدول الصناعية عنفًا، وأنها تشهد ارتفاعًا عاليًا في معدلات الجريمة، وأن نظام التعليم هو أقل الأنظمة التعليمية كفاءة من بين الدول الصناعية، إنهم بالتأكيد لا يتحدثون عن نقل مصانع بأكملها خارج أمريكا، وما قد يحدث ذلك من ندرة الوظائف وارتفاع معدلات البطالة في البلاد.

ولا أحد من المسؤولين في البيت الأبيض يستطيع أن يقول: إنه قد ارتكب خطأ وأنه يتحمل تبعات هذا الخطأ، بل يحاولون تغطية عيوبهم بكل الوسائل، ثم يعمدون إلى إنفاق الملايين من أملاك الدولة لتخصيص محامين لمقاضاة أشخاص متهمين بالتسبب في الوضع الاقتصادي المتدهور، وكل ذلك يتم نفاقًا وخداعًا للشعب.

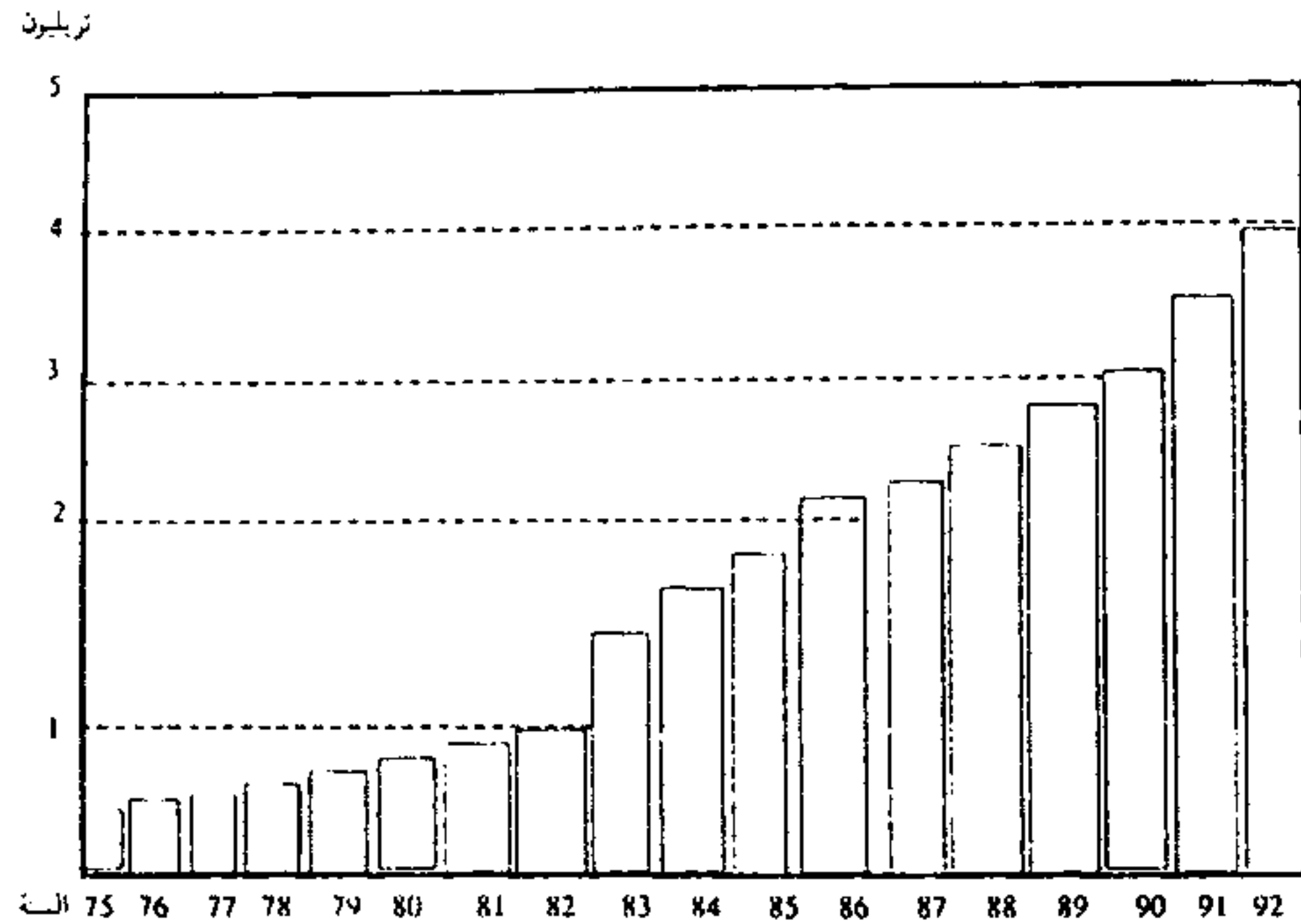
ما وراء الستار:

اختار المؤلف عبارة «ما وراء الستار» لتكون عنوانًا للفصل الثاني من الكتاب ليشير إلى حقيقة مهمة وهي: أن الأمريكيين يعتقدون أن

النفطية التي تعرضت لها أمريكا عام ١٩٧٣ م.

تأمل معدلات نمو الديون الفيدرالية في الشكل المرفق؛ حيث نلاحظ من خلال القراءة المتأنية أن ديون الولايات المتحدة قد زادت بمقدار ثلاثة تريليونات خلال اثنتي عشرة سنة فقط، وهذا يعني أن الزيادة كانت بمعدل تريليون واحد لكل فترة رئاسية^(١).

انظر الشكل رقم (أ)



الشكل رقم (أ)

مجموع الديون الفيدرالية

(١) لأن مدة كل فترة رئاسية هي أربع سنوات، إما أن ينتخب بعدها الرئيس لفترة ثانية وأخيرة وإما أن ينتخب رئيس آخر.

ديون الولايات المتحدة التي بلغت أربعة تريليونات دولار قد أنفقت في معالجة المشكلات التي تعاني منها البلاد حتى وصلت إلى مرحلة الدولة المثالية Utopia.

يعتقد الأمريكيون -أو قل كثير منهم- أن هذه الديون الضخمة قد أنفقت على تطوير النظام التعليمي وتحسين مستوى أداء النظام الصحي وتأسيس البنية التحتية للمجتمع، ولكن الحقيقة مخالفة لذلك تمامًا، إن الولايات المتحدة تعاني من ارتفاع مذهل في معدلات الجريمة، وتوجد بها فئة كبيرة من الناس الذين لا يجدون لهم مسكنًا Homeless، وهناك غلاء فاحش في الخدمات الصحية، كما أن الطرق السريعة والجسور والأنفاق بدأت تظهر عليها علامات التصدع والانهيار.

ارتفاع الديون الفيدرالية:

يقول المؤلف تحت هذا العنوان:

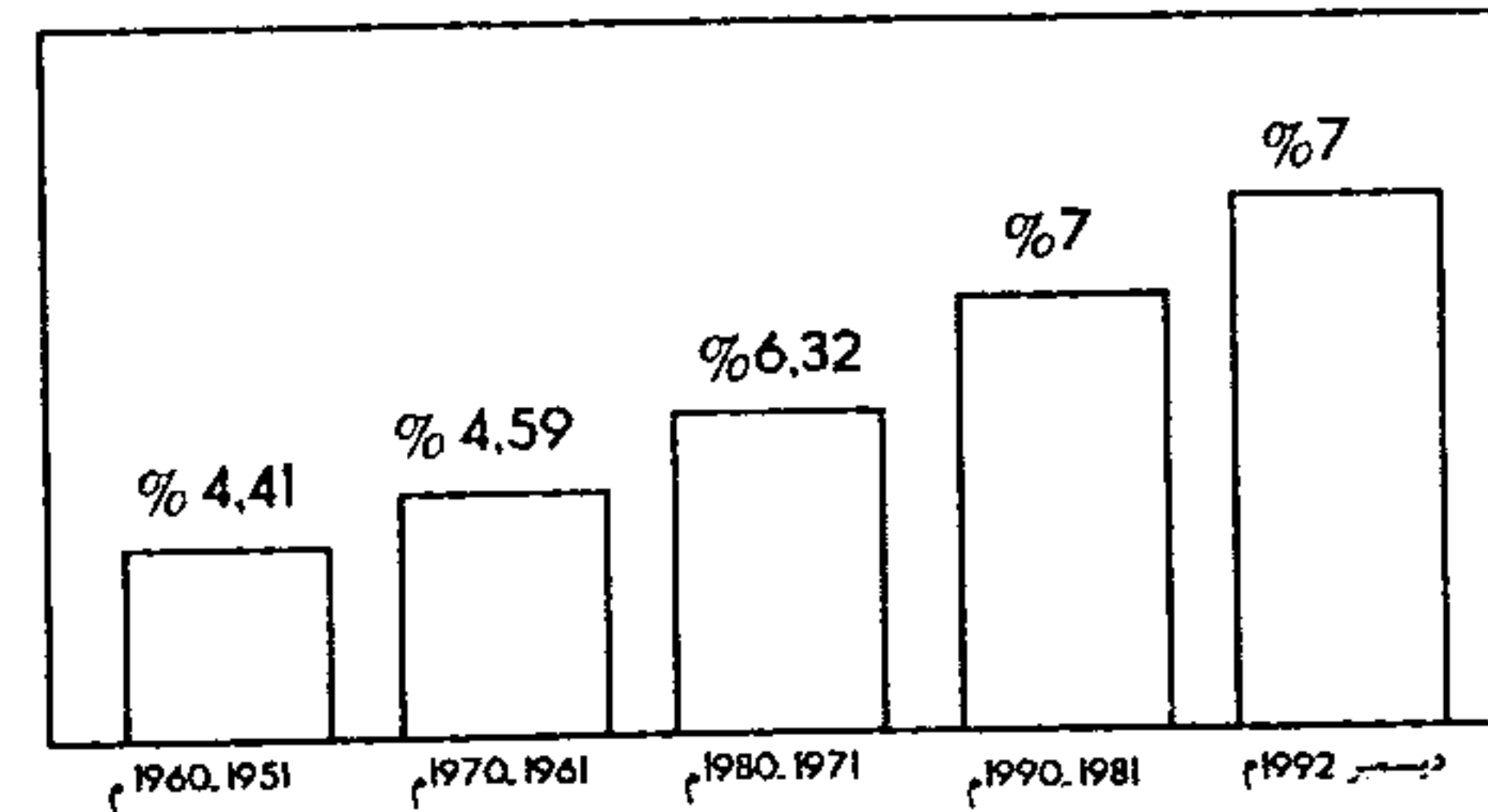
إن المؤشرات الاقتصادية تؤكد أن الديون الفيدرالية بلغت أكثر من أربعة تريليونات دولار، وحتى نعرف معدلات النمو الفيدرالية السريعة يجب أن نعود إلى عام ١٩٧٥ م؛ حيث بلغ مجموع الديون أقل من نصف تريليون دولار، مع العلم أن هذا المبلغ يشمل ديون الدولة منذ عام ١٧٧٦ م إلى ١٩٧٦ م، أي أن هذا الرقم (نصف تريليون دولار) هو مجموع ديون الحكومة الأمريكية خلال مائتي سنة بما في ذلك تغطية تكاليف حربين عالميتين والحرب الكورية وحرب فيتنام والمقاطعة

معدلات البطالة في الولايات المتحدة:

يقول المؤلف: إذا كانت الشركات الكبرى بدأت تنهج الطريقة التي تحدثنا عنها آنفاً في تصغير حجمها وتقليل كمية إنتاجها وتسريح بعض موظفيها؛ فإن ذلك يعني تلقائياً ارتفاع معدلات البطالة في المجتمع الأمريكي. انظر الشكل حتى تتعرف عن كثب على ازدياد معدلات البطالة منذ عام ١٩٥١م إلى عام ١٩٩٢م.

إن الخوف ليس من هذه المعدلات المرتفعة بل من بقائها وعدم محاولة تغييرها، إن الواقع يقول: إن الكثير من الشباب الأمريكي -على سبيل المثال- تخرج عام ١٩٩٣م من أفضل كليات الاقتصاد ومع ذلك لم يجد له وظائف.

إن «الحلم الأمريكي» بالنسبة لهؤلاء وأمثالهم سيتحول إلى «إحباط أمريكي»، انظر الشكل رقم (٢).



الشكل رقم (٢): معدلات البطالة في الولايات المتحدة.

محاولات قاصرة:

وعلى الرغم من إجماع عدد لا يستهان به من رجال الفكر الأوروبي على أن حضارة الغرب في طريق التدهور - لم يتعرض الكثيرون منهم إلى الأسباب التي تضع حدًا لتلك الحضارة المادية العملاقة والسمات المطلوبة للبديل التي يمكن أن يتسلم زمام قيادة الحضارة من جديد.

صحيح أن (ألكسيس كاريل) كان موفقاً إلى حد بعيد في تشخيص المرض، ولكنه لم يكن ماهراً في وصف العلاج، إنه يكاد يتلمس المنهج الذي يمكن أن ينقذ البشرية، ولكن من غير معينه الأصلي، فهو يريد منهجاً يعتبر (الإنسان مقياساً لكل شيء)، ولا يجعله غريباً في العالم الذي ابتدعه (ولا ينهض على الجهل المطبق بخصائصه ومقوماته)، ويريد منهجاً لا ينشئ بيئة (غير صالحة بالنسبة لقوانا ولا بالنسبة لهيئتنا)، ولا (يجعلنا ننحط أخلاقياً وعقلياً)، ولا يلغي شخصية الفرد من حسابه، ولكنه كذلك لا ينسى حاجة الفرد للحياة الجماعية. إنه ينادي بضرورة (قلب الحضارة الصناعية وظهور فكرة أخرى للتقدم البشري)، ولكنه يبحث عن منهجه الذي حاذى جوانب الحقيقة لدى الإنسان، فيرى أن سبب المأساة هو عدم الاهتمام بعلوم الحياة فيقول: «إننا ضحايا تأخر علوم الحياة عن علوم الجهاد».

والمستر (دلاس) يبحث عن منهج (لا يقف موقفاً غامضاً من الإيمان وعلاقته بالنشاط الحيوي) ومنهج (لا يفرق بين الدين وممارسة

الدين، ولا يحطم الصلة بين الإيمان والعمل، ولا يزعم أن الإيمان لا يتمشى مع (الظروف الحديثة)، ويريد منهجاً (يرفض أن يكون للأشياء المادية الأولوية، ويرفض الرفاهية الاقتصادية على حساب الروحية والعقلية)، هذا وإن المستر (دلاس) يطلب هذا المنهج عند رجال الكنيسة الأمريكية وعند الزعماء الروحيين في بلده، ويطمع أن يجد عندهم الخلاص.

ولكن الذي ينبغي أن يكرن واضحاً أنه لا (علم للإنسان) يملك أن يستجيب لصيحة (كاريل)، ولا الكنيسة وآباؤها الروحيون يملكون أن يستجيبوا لصيحة مستر (دلاس).

إذا صار عجز الحضارة الغربية عن تحقيق آمال البشرية أمراً واقعاً، وإذا كانت المناهج الأرضية التي يشير إليها العقلاء والمفكرون من ضحايا الحضارة الغربية تقف مكتوفة الأيدي إزاء الانهيار ووقوع الكارثة.. فأين البديل؟



المسلمون والبديل الحضاري

أين البديل؟

إن الحضارة الغربية بجناحيها (الرأسمالية والشيوعية) تستقي من معين واحد هو (الفكر البشري)، الذي لم تعد تربطه أية صلة بأسباب السماء، ولا فرق بين أن ترد المستنقع الآسن باليد اليمنى أو اليسرى، فلا يرجى إذا تقديم الحلول لإنقاذ البشرية من أمريكا وروسيا ومن يدور في فلكهما، ولو تلفتنا نحو الصين باعتبارها واحدة من الدول الكبرى - لوجدنا أن الجسور الحمراء التي تصلها بالمعسكر الشرقي بدأت تنهار لتقوم مكانها جسور أخرى تصلها بالعالم الرأسمالي، ومعنى ذلك أنها تذبذبت بين هؤلاء وهؤلاء، ولم تستطع أن تكون نموذجاً جديداً يمكن أن يكون بديلاً حضارياً أو نواة لبديل حضاري، أما اليابان، فليست لديها أية طموحات قيادية من خلال قيم ومبادئ فكرية، وهي أقرب إلى تمثيل قيم الحضارة الغربية المادية التي غدت لعنة على أصحابها، ولعل نشوة التقدم التكنولوجي تشغلها عن التفكير في ارتياد الآفاق العالمية إلا من خلال صادراتها الصناعية التي غزت أسواق الغرب ذاتها.

أما الهند، فإنها بالرغم من الإمكانيات المتاحة لها لتكون دولة عظيمة، فإنها أعجز من أن تكون بديلاً حضارياً؛ بسبب تنافر النسيج

البشري الذي يتكون منه شعبها أو بالأحرى مجموعة شعوبها.

لم يبقَ في الساحة إذاً إلا المسلمون، ولم يبقَ من منهج غير الإسلام، لاسيما أن له ماضياً مشرقاً في تحقيق كل ما عجزت عن تحقيقه مناهج الأرض.

ولكن الغرب لا يريد أن يكون الإسلام المنهج المنقذ، مع أن الصفات التي يطلبها كل من (كاريل) و(دلاس) في المخلص لا تتوافر في أحد إلا في هذا الدين، وأن المنهج الذي يصفانه لا يملكه إلا الإسلام من بين سائر المناهج والمذاهب والنظريات التي يعرفها بنو الإنسان.

إذا كان صناع الحضارة الغربية الذين يتفيئون ظلها أشهروا إفلاسهم وقادوا البشرية إلى الضياع، وإذا كنا -نحن المسلمين- نرى أن الإسلام هو المؤهل الوحيد لتسلم زمام قيادة البشرية، فهل هناك من قادة الغرب وساسته ومفكره الذين توقعوا سقوط الحضارة الغربية من بشر بأهلية المسلمين للقيادة أو توقع لهم دوراً مهماً؟

وربما كان من أهم ما يذكر في هذا المجال ما قاله العالم الروسي (تروجانوسكي) الذي كتب مجموعة مؤلفاته في أعقاب الثورة الصناعية محاولاً تقويمه متسائلاً: أمتى وأين تأتي الثورة العالمية الثالثة؟ مشيراً بهذا إلى الثورتين العالميتين الفرنسية والشيوعية وإلى فشلها في نواح متعددة، وأن العالم في حاجة إلى ثورة قادمة تستطيع أن تصحح من مسارات الحركة الإنسانية، ويجب (تروجانوسكي) بأن تلك الثورة لن تأتي إلا

من العالم الإسلامي، وكان ذلك في عام ١٩١٩م.

ولعل من أدق ما كتب وأكثره تصويراً لعناصر قوة الإسلام التي تمكنه من بناء قوة عالمية كتاب (الإسلام قوة الغد العالمية) لمؤلفه (باول شمتز)، الذي استهدف تبصير بني جنسه بعناصر القوة في الإسلام وتحذيرهم منها، ويقرر (باول شمتز) أن عناصر القوة الأساسية التي يمتلكها المسلمون أربعة:

الأول: الموقع الاستراتيجي الذي يحتله المسلمون في العالم، وهو موقع مهم بشهادة شمتز وبشهادة كثير غيره.

إن هذا الموقع يحتل مكانة فريدة ظلت على مدار التاريخ موطناً لكثير من القادة والفاثحين وبناء الدول والإمبراطوريات، ولا ريب أن الرغبة في التحكم في هذا الموقع الفريد كان أحد الأسباب وراء الحركة الصليبية والحركة الاستعمارية والهجمة الصهيونية الآن.

الثاني: النمو البشري لدى المسلمين، وهو نمو يدل على خصوبة كبيرة تجعل نسبة تزايدهم تتفوق كثيراً على نسبة تزايد سواهم، يقول شمتز:

«تشير ظاهرة نمو السكان في أقطار الشرق الإسلامي إلى احتمال وقوع هزة في ميزان القوى بين الشرق والغرب، فقد دلت الدراسات على أن لدى سكان هذه المنطقة خصوبة بشرية تفوق نسبتها ما لدى الشعوب الأوربية». ومما يؤكد صحة توقعات (شمتز) في هذا الصدد

التزايد الملحوظ في عدد سكان البلاد الإسلامية مع بقاء دول الغرب محافظة على نسبة سكانها، يضاف إلى ذلك التباين في نوعية السكان؛ حيث تزداد نسبة الشباب في المجتمع الإسلامي على العكس من المجتمع الغربي الذي تزداد فيه نسبة الشيوخ، ولعل في ذلك إيحاء لقوة الإسلام وترهل الغرب.

الثالث: الثروات والمواد الخام في بلاد المسلمين، وهي ثروات كبيرة يستطيع بها المسلمون بناء قوة صناعية تضارع أرقى الصناعات العالمية - إن لم تفقها - وسوف تزداد هذه الثروات في وقت تقل فيه ثروات البلاد الأخرى.

الرابع: الإسلام وهو أهم عناصر القوة في المجتمع الإسلامي وأخطرها، يقول شمتز في حديثه عن الإسلام:

«ذلك الدين الذي له قوة سحرية على جميع الأجناس البشرية المختلفة تحت راية واحدة بعد إزالة الشعور بالفرقة العنصرية من نفوسهم، وله من الطاقة الروحية ما يدفع المؤمن به إلى الدفاع عن أرضه وثرواته بكل ما يملك مسترخيًا في سبيل ذلك كل شيء حتى روحه، أي قوة وجدانية بعثت هذه الإرادة في العالم الإسلامي - قوة الوحدة الفكرية للإسلام ووجود الإحساس الحي للدين الإسلامي - فهي تنتصر في كل ميدان تنزل فيه أمام الأيديولوجيات الأخرى.

إن اتجاه المسلمين نحو مكة موطن الإسلام عامل من أهم العوامل

في تقوية وحدة الاتجاه الداخلي بين المسلمين، وأسلوب يضفي على جميع نظم الحياة في المجتمع الإسلامي طابع الوحدة وصفة التماسك».

ويستخلص المؤلف أن ضعف الغرب في تمزقه السياسي، وقوة المسلمين في تماسكهم بالإسلام وعودة المسلمين إلى القوة، إن هم أحسنوا استثمار مواردهم الطبيعية وموقعهم الجغرافي في العالم، وإن هم تعلموا التكنولوجيا كما تعلمها الأوربيون فيقول: «وسيعيد التاريخ نفسه مبتدئًا من الشرق الإسلامي، عودًا على بدء، من المنطقة التي قامت فيها القوة الإسلامية العالمية في الصدر الأول للإسلام، وستظهر هذه القوة التي تكمن في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية، وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والعمل على الاستفادة منها وستقلب موازين القوى؛ لأنها قائمة على أسس لا تتوفر في غيرها من تيارات القوى العالمية، وقد أدرك الكاتب الإنجليزي (هيلر بلوك) مدى فاعلية هذه القوة حين أكد أنه لا يساوره أدنى شك في أن حضارة ترتبط أجزاؤها برباط متين وتتماسك أطرافها تماسكًا قويًا وتحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام، لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب، بل ستكون أيضًا خطرًا على أعدائه».

ينذر «شمتز» أوروبا محذرًا من خطر القوة النامية الجديدة في الشعوب الإسلامية، وداعيًا إلى العمل بحزم لرد خطر هذه القوة ووقف نموها وتزايدها، كي تبقى أوروبا ذات سيطرة اقتصادية وسياسية، فيقول:

«إن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوروبا وهتاف يحجب آفاقها يدعو إلى التجميع والتساند الأوربي لمواجهة هذا العملاق الذي بدأ يصحو ويزيل النوم من عينيه».

ثم ينصح الأوربيين بأن يقفوا بالمرصاد لنمو عوامل القوة بين المسلمين بطريق أو بآخر إن هم أرادوا الحفاظ على وضعهم الدولي في السياسة والاقتصاد، وليس أمامهم إلا أن يتكتلوا تحت شعار (الوحدة الأوربية).

ويرى أنه يمكن للمسلمين أن يتقدموا في العلم والتكنولوجيا كما تقدم الأوروبيون، وهم عندئذ ليسوا في حاجة إلى رباط يجمع شملهم سوى الإسلام، وهو قائم فعلاً لم يفقدوه بعد.

وكتاب «شمتز» يمكن أن يكون دعاية إلى المسلمين ليزدادوا إيماناً بالإسلام والتمسك به، إبقاءً على وجودهم، واحتفاظاً باستقلالهم السياسي والاقتصادي، وتشوقاً إلى المركز القيادي الذي يؤهلهم له الإسلام؛ لأن قوة القرآن الكريم في جمع شمل المسلمين لم يصبها الوهن، ولم تنجح الأحداث التي مرت على المسلمين في القرون الأخيرة في زعزعة ثقتهم به كقوة روحية إيجابية.

وليس (باول شمتز) وحده الذي حذر الغرب من يقظة المسلمين وحرّض على التصدي للخطر الداهم الذي يهدد الغرب، فهناك لجنة دولية تألفت بأمر (السير هنري كامبل بانرمان) أحد رؤساء الوزارة

البريطانية السابقين التي درست الوسائل المستطاعة لحماية الاستعمار الغربي وتوفير ضمانات البقاء له، وكان الجزء المهم في تقرير اللجنة الذي صدر عام ١٩٠٧م يقرر أن الخطر الأكبر على الاستعمار يكمن في منطقة الشرق الأوسط؛ فهذه المنطقة مهد الحضارات والديانات، ويسكنها شعب تتوفر له من وحدة تاريخه ولغته ومثله وآماله وثرواته الطبيعية ونزعة أهله إلى التحرر - ما يجعله مؤهلاً للنهوض من جديد وانتزاع قيادة الحضارة البشرية، ولا جدال في أن القوة التي أفرغت لجنة (بانرمان) هي قوة الإسلام، وأن الشعب الذي تتوفر له وحدة اللغة والتاريخ والمثل والآمال هو الشعب المسلم، والديانة التي يدين بها هذا الشعب هي الإسلام.

أما كيفية مواجهة الخطر الذي يهدد المصالح الاستعمارية، فكان من بين عناصرها فصل الجزء الإفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي؛ بإقامة حاجز بشري قوي وغريب يملأ الجسر البري الواصل بين القارتين؛ بحيث يشكل في هذه المنطقة وقريباً من برزخ السويس صديقة للاستعمار الأوربي ومعادية لأهل البلاد، وقد حرص الغرب على تحقيق هذا الاقتراح بكل قوة؛ حيث غرس قوة صديقة للاستعمار الأوربي ومعادية لأهل البلاد وهي (إسرائيل).

ويلجأ بعض ساسة الغرب أحياناً إلى دعم الاتجاهات التي يعادونها إذا كان في دعمها ما يضعف من قوة المسلمين أو يعرقل انبعاثهم الحضاري.

يقول (إيدن) رئيس الوزراء البريطاني الأسبق في مذكراته:

«إن أمريكا في الخمسينات راحت تنفق أموالها على نطاق مسرف لإعانة الشيوعية في الشرق الأوسط، وكان غرض أمريكا من نشاطها السياسي والثقافي والعلمي في هذه المنطقة هو تميع المبادئ والعقائد الروحية والدينية التي يؤمن بها سكان المنطقة».

أما الزعيم الكوبي الشيوعي (كاسترو) فإنه ينصح (إسرائيل) ألا تترك الحركة الفدائية تتخذ طابعاً إسلامياً دينياً؛ لأن ذلك يجعل منها شعلة من نار الحماس الديني، مما يجعل من المستحيل على إسرائيل أن تصون كيائها معه؛ لأن الفداء إذا تملكته عقيدة دينية، وبخاصة في المجتمعات الإسلامية تلاشت أمامه كل العقائد الأخرى بما فيها الماركسية.

تلك هي صيحات الإنذار التي تنطلق من أبناء الحضارة الغربية تعلن إفلاس حضارتهم، وتحذر في الوقت نفسه من الإسلام، ذلك العملاق الذي يفزعهم إن استيقظ.

لقد أصبح التآكل في حضارة الغرب داءً عضالاً مزمنًا ينخر كل يوم في هيكلها الضخم فيقربه من مصيره المحتوم، وهو الانهيار الكامل، ليفسح المجال أمام دورة جديدة لحضارة جديدة، لعلها تنقذ البشرية وتضعها على منهج قويم للحياة. وفكرة (دورة الحضارة) فكرة قال بها كثير من المفكرين منذ القدم، ولا تزال تجد من يؤمن بها ويجمع لها

الشواهد والأدلة. وخلاصة ما تقرر هذه الفكرة أن لكل حضارة عمراً قد يطول وقد يقصر، لكن الانهيار هو المصير النهائي لها؛ حيث لا بد أن تموت لتخلي مكانها لحضارة جديدة. وقد شبه العلامة (ابن خلدون) الدول بالأفراد، من حيث النشأة فالشباب فالشيخوخة فالوفاة، وقد سبقت الإشارة إلى ما قاله (فولني) معبراً عن أساء عما سوف يحل بحضارة ذويه من انهيار كما حل بالحضارات القديمة البائدة.

وهذا السير (هنري كامبل بانرمان) رئيس الوزارة البريطانية الذي ترأس اللجنة الدولية التي سبقت الإشارة إليها يقول:

«إن الإمبراطوريات تتكون وتنمو وتقوى، ثم تستقر حيناً من الدهر، ثم تبدأ طريقها إلى الغروب رويداً رويداً ثم تتلاشى، والتاريخ مليء بهذه الأطوار والأدوار التي انطبقت على شتى الأمم والنهضات دون استثناء». ثم يسأل أعضاء اللجنة قائلاً:

«فهل لديكم أسباب ووسائل تجنبنا هذه المصير؟ لقد أصبحت أوروبا قارة قديمة استنفذت مواردها واستحالت معالمها؛ بينما العالم الآخر لا يزال في شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية».

أما توينبي المؤرخ البريطاني الشهير، فإنه يضع القوانين المعقدة لنمو الحضارات ولانهلالها الحتمي بعد ذلك، ويقرر أن الحضارات تسقط في الوقت الذي يكون فيه قوة الإنسان أشد من قوة الدين، ولقد أدركت الأمم المتحدة فداحة المصير الذي تمضي البشرية إليه، فدعت إلى

عقد جلسات استثنائية في عامي ١٩٧٤ م، ١٩٧٥ م، تقرر في نهايتها بالإجماع بعد حوار طويل أن السبب الأول للانحراف هو عدم صلاحية الأنظمة التي تسيطر على العالم اليوم، وأنه لابد لإنقاذ البشرية من إقامة نظام عالمي جديد يضمن للإنسانية حقها الأصيل في حياة حرة آمنة.

وإذن، فإن الدورة الحضارية لابد أن تأتي على الحضارة الغربية كما أتت على الحضارات السابقة، وما يحاوله بعضهم من استثنائها من هذا المصير بدعوى أنها حضارة عالمية الأبعاد مما يجعلها خالدة مستمرة لن ينقذها من مصيرها، ذلك أن التاريخ شهد أكثر من حضارة عالمية الأبعاد ومع ذلك انهارت في النهاية.

ورب قائل يقول: إذا كانت حتمية اندثار الحضارات قدرًا لا مفر منه وحقيقة لا يمكن إنكارها، فلا عاصم للحضارة الإسلامية إذا اعتلت القيادة من السقوط ثانية. فنقول: أما عن اعتلاء الحضارة الإسلامية دور القيادة، فهذا أمر أوضح من أن يناقش، قد كتبه الله لعباده الصالحين، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وأما عن إمكانية السقوط، فنحن المسلمون نفهم وهذه الحقيقة من خلال إيمان لا يرقى إليه الشك -أيضا- في صدق الآية الكريمة: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]. فإذا فقد المسلمون جدارتهم بقيادة ركب الحضارة فإنها

تصير إلى غيرهم، ذلك أن الله ﷻ سن في الكون سننًا ونواميس لا تحابي أحدا ولا تجامل مخلوقا.

المسلمون والبديل الحضاري:

وإذا كانت هناك جملة من القرائن تشير إلى سقوط حضارة الغرب وبزوغ فجر حضارة جديدة يرجى أن يقودها المسلمون؛ فعلينا أن نتذكر جيدا أن الله ﷻ لا يؤتي نصره من لم يكن جديرا به، مسلما كان أم غير مسلم، ومن مقتضيات العدل الإلهي أن تنطبق سننه على الجميع مسلمين وغير مسلمين، ومن هذه السنن أنه لا يفوز إلا من امتلك أدوات الفوز، ولا يسود إلا من حاز شروط السيادة، ومعنى ذلك أن على المسلمين أن يبذلوا جهدهم ليكونوا جديرين بالاستخلاف والتمكين، وألا يتوهموا أن سقوط حضارة الغرب سيؤدي بالضرورة إلى قيادتهم لركب الحضارة التي سوف تسقط بين أيديهم غنيمة باردة، فتلك أحلام الكسالى والعاطلين والواهمين.

ثم إن الحضارة الغربية بشقيها (الشرقي والغربي) لا تزال تمارس تأثيرا واضحا على معظم شعوب الأرض، وقد يمتد هذا التأثير إلى أبعد مما نتصوره، ذلك أن سقوط الحضارات وقيامها لا يكون بين يوم وليلة، ولا بد من أن نضع عامل الزمن في الحساب.. من جهة أخرى يمكن للدارس أن يذكر أن من أسباب استمرار الحضارة الغربية خلو الساحة من أي بديل حضاري أفضل يمكن أن تتول إليه قيادة الحضارة، وفي

ظل ضعف المسلمين الحالي وشتاتهم يمكن أن يتقدم آخرون لقيادة الحضارة، فتنقل بذلك من يد الغرب إلى يد أخرى، ويظل المسلمون في موقف المتفرج العاجز.

ثم إن هناك كثيرًا من أبناء المسلمين ما زالوا السبب أو لآخر مفتونين بحضارة الغرب، ورد هؤلاء إلى الصواب وتبصيرهم بالحقيقة من أهم ما ينبغي على المسلمين أن يقوموا به؛ لأنه واجبه من ناحية، ولأنه خطوة لا بد منها في سعيهم لتولي قيادة الحضارة من جديد.

وبعد..

فإن هناك مؤشرات موضوعية متكاثرية تدل على أن الخط البياني للحضارة الغربية يسير نحو الانحدار، وشواهد كثيرة تدل على أن شمسها تدنو للغروب، وأنها فقدت قدرتها على إقناع كثير من أبنائها بجدواها واستمرارها، فضلاً عن أبناء الشعوب الأخرى.

وهذا كله يجعل السؤال عن البديل سؤالاً ملحاً ضرورياً، ويبدو -حتى الآن- أن البديل المرشح الأوفر حظاً لقيادة البشرية في دورة حضارية جديدة هم المسلمون.

والمأمول -بإذن الله- أن يؤدي المسلمون المهمة الجليلة التي تنتظرهم وأن يرتفعوا إلى مستواها، وأن يملكو شروطها الموضوعية.

والحديث عن الشروط الموضوعية التي تجعل المسلمين جديرين بأن يكونوا البديل الحضاري إن امتلكوها -أمر يحتاج إلى بحث يكمل

بحثنا هذا ويتممه، ونرجو من الله العون لإنجازه، لكن لا بد من ذكر أهم هذه الشروط الآن بإيجاز شديد حتى لا يظل البحث مبتوراً عاماً، ولم يحدد.

أهم هذه الشروط:

(١) معالجة الأزمة الفكرية التي تأخذ بخناق الأمة منذ فترة طويلة، والخروج برؤية إسلامية صحيحة ومنهجية سليمة.

(٢) تصحيح العقيدة؛ بحيث تصبح عقيدة سليمة تشيع في الأمة بقوتها وعمقها ووضوحها وبساطتها وتكاملها، وتحالط بشاشتها القلوب، وتنقي طهارتها العقول، وتهيمن على سائر المنطلقات للأفراد والجماعة، وتدين الأمة بها وتتفاعل معها، فتكون على الحق المبين في كل ما تأخذ وتدع، وتفجر طاقات أبنائها في العطاء والإبداع والعمران.

(٣) النظر المنصف الناقد المستفيد المتوازن المميز في التراث الإنساني المعاصر والحضارة الراهنة لمعرفة ما يقبل وما يرفض دون تبعية مطلقة أو رفض مطلق؛ بحيث تتميز إيجابيات هذه الحضارة عن سلبياتها وخيرها عن شرها ونافعها عن ضارها.

(٤) حسن النظر في التراث الإسلامي الهائل؛ بحيث يتحقق الاعتزاز به والانتفاع منه دون تقديسه أو المنع من مناقشة

شيء فيه، فمصادر الإسلام شيء والتراث الإسلامي شيء آخر، ويحسن بنا الانتفاع من كنوزه الغالية مع معرفة ما فيه معرفة الناقد البصير.

(٥) العناية بتصحيح مناهج وكليات الأمور والقواعد والضوابط الأساسية بدلاً من ملاحقة الجزئيات المتغيرة باستمرار؛ ذلك أن الجزئيات لا متناهية بخلاف المناهج والكليات والقواعد، من هنا وجبت العناية بتصحيحها والتركيز عليها؛ لأنها تصحح حركة العقل وتضبط مسيرته وتوصل موازينه، مما يجعل نشاطه في الاتجاه الصحيح، والسلوك فرع من التصور، والأفكار -دائماً- هي المقدمة الخاطئة أو الصحيحة لكل شيء آخر.

(٦) ربط هذه المناهج بالواقع الحياتي للأمة المسلمة، فهذا يساعدها على تلمس الحلول من ناحية ويجعل لها عطاءً عملياً من ناحية أخرى، فتنبو بذلك من أن تظل الحلول حلولاً نظرية وتوهمات متخيلة.

(٧) محاولة بناء مؤسسات إسلامية بديلة في الفكر والاقتصاد والتربية والاجتماع، وأن تأخذ هذه المؤسسات طابعاً عملياً وأن تسهم في إعادة الأمة إلى الإسلام الذي انسحب من حياتها شيئاً فشيئاً، ويمكن أن يرجع إليه شيئاً فشيئاً إن شاء الله تعالى.

(٨) تحقيق تصور حضاري إسلامي يمكن من بناء أمة ومجتمع ودولة حديثة قوية متماسكة قاهرة معطاءة.

(٩) تحويل ذلك كله (العقيدة والفكر والمعرفة والمنهج) إلى نسق يمكن تقديمه لسائر فصائل الأمة، بشكل يحقق قناعتها بذلك وثقتها فيه وتربيتها عليه.

(١٠) معرفة سنن الله ﷻ في قيام الدول والحضارات وفي انهيارها، وهي سنن تصدق على المسلم وعلى غيره، والتعامل مع هذه السنن بما يعيد الأمة إلى إسلامها، وبالتالي يجعلها جديرة بأن تكون البديل الحضاري المأمول.



السنن الإلهية تبشر بعودة الإسلام

لا شك أن الإسلام سيعود ليحكم العالم رغم أنف أمريكا والغرب، وسنن الله ﷻ تبشرنا بتلك العودة، وهي سنن وقوانين ثابتة لا تبدل ولا تتغير، تجري على الأولين والآخرين وعلى المسلمين والمشركون، لا تتخلف ولا تبدل، كما قال سبحانه: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

ومن هذه السنن:

(١) سنة التداول:

سنة التداول أو المداولة للأيام بين الأمم هي السنة التي قررتها الآية الكريمة من سورة آل عمران، والتي نزلت بعد غزوة أحد التي أصاب المسلمين فيها ما أصابهم قال ﷻ: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ومن نظر في أحوال الأمم عبر التاريخ يجد شعلة الحضارة تنتقل من أمة إلى أمة، فقد كانت قيادة العالم قديمًا في يد الشرق على أيدي الحضارات الفرعونية والآشورية والبابلية والفينيقية والفارسية والهندية والصينية، ثم انتقلت إلى الغرب على يد الحضارة اليونانية ذات الفلسفة الشهيرة

والرومانية ذات التشريع المعروف، ثم انتقلت هذه القيادة مرة أخرى إلى الشرق على يد الحضارة الإسلامية، وهي الحضارة التي جمعت بين العلم والإيمان وبين الرقي المادي والسمو الروحي، وحين غفا الشرق وغفل عن رسالته أخذ الغرب الزمام، وكانت له القيادة مرة أخرى. لقد ظل العالم يتقاسمه العملاقان الروسي والأمريكي حتى سقط الاتحاد السوفيتي وانفردت أمريكا بالعالم، وظن الكثيرون أن انفرادها سوف يظل طويلًا، وأن هوان الأمة سيستمر تحت هيمنتها، يقول الحق -تبارك وتعالى- في سورة الروم:

﴿الم * غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١-٥].

فعندما غلبت الروم أصبحت كفة الميزان راجحة لصالح الفرس، والخوف أصبح من انفراد الفرس بالعالم وبالإسلام خاصة، فيأتي القرآن ليبشر أن الأمر لا يعدو أن يكون تداولاً للقوة لفترات قصيرة «بضع سنين» لا تستطيع قوى الاستكبار خلالها أن تنفرد بالعالم، وإنما تعود «سنة التداول» للعمل وتغلب الروم بعد ذلك.

ولذلك فإن البشرى بتغيرات عالمية تعيد التوازن تنطلق من سر آية الروم العظيمة، ومن ثم فإن تسلط قوى الاستكبار وانفرادها بنا هذه الأيام العصبية سوف يتطلب مزيدًا من الجهد الخالص لوجه الله في

ميادين الحياة جميعاً، بغية بناء القوة الذاتية روحياً واجتماعياً وتقنياً، وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله القريب والبعيد، القريب بإعمال قانون «تداول القوة» حتى يمنحنا الله - سبحانه - حصانة حضارية نعكف فيها على بناء قوتنا الذاتية، والبعيد عندما يتولد عن هذه القوة الذاتية نظام إسلامي دولي يقوم على البر والتقوى، ويتولى هداية الإنسانية وأستاذية العالم.

(٢) سنة التدافع:

سنة التدافع من سنن الله تعالى لحماية الحق من غلبة الباطل، ولامتحان مواقع الناس في خنادق الصراع.. فإما في خندق الإيمان أو خندق الكفر، وإما مع أهل الحق أو مع أهل الباطل، هكذا كان الصراع منذ فجر التاريخ وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، لحفظ الدين من الانهيار وحفظ الدنيا من الفساد، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وفي دائرة الصراع الأبدي بين الحق والباطل والواقع ضمن سنة التدافع - ما جرى في هذا العصر في فلسطين، من خلال ولادة الانتفاضة وبروز جيل الحجارة، كما في الشيشان والبوسنة والهرسك.

وكذلك ما يجري في كشمير والفلبين وإريتريا والسودان والعراق وأفغانستان، ومن الحكام الطغاة المستبدين في ليبيا واليمن وسوريا وغيرها من البلدان العربية والإسلامية.

وقد تتجلى سنة التدافع من خلال معارك عسكرية كبرى لحفظ الدين، كالذي حدث في معركة بدر ضد الوثنية، وفي واقعة الأحزاب ضد اليهود والمشركين، وفي اليرموك ضد صليبية الرومان، وفي القادسية ضد مجوسية فارس، وفي حطين أمام العريضة الصليبية، وفي عين جالوت أمام غزو المغول الوثنيين الذين اجتاحتهم العراق وسوريا وقتلوا في بغداد وحولها ما يقرب من المليون مسلم.

إن سنة التدافع تشير دائماً وتؤكد باستمرار على أن الغلبة للإيمان وحده، وهذا ما تؤكد الآيات القرآنية: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

(٣) سنة التغيير:

وقد قررها القرآن الكريم في أكثر من آية، فالذين يتغيرون من الخير إلى الشر ومن الاستقامة إلى الانحراف ومن الصلاح إلى الفساد - يغير الله حالهم من النعمة إلى النقمة، ومن القوة إلى الضعف، ومن العزة إلى الذلة، ومن الرخاء إلى الشدة. يقول القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وهذه السنة إذا طبقت على الغرب الذين مكّن الله لهم في الأرض وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ووسع عليهم الأرزاق، لكنهم - كما في

سنة التداول -- خانوا أمانة القيادة والمسئولية، وطغوا في البلاد فأكثرُوا فيها الفساد - فهم أهل لأن يُعَمِلَ الله فيهم سنته فيغير ما بهم ويسحب القيادة منهم وينقلها إلى غيرهم.

واستكمالاً لهذه السنة، فإن الذين تتغير أنفسهم من الشر إلى الخير ومن الضلالة إلى الهدى ومن الانحراف إلى الاستقامة ومن الفساد إلى الصلاح - هم أهل أن يغير الله حالهم، ويغير ما بهم من الضعف إلى القوة، ومن الذلة إلى العزة، ومن الهزيمة إلى النصر، ومن الخوف إلى الأمن، ومن الاستضعاف إلى التمكين، وهذا ما تشير إليه الآية الأخرى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

[الرعد: ١١].

(٤) سنة التمكين:

وهي السنة التي قررتها الآية الكريمة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾

[القصص: ٥].

والتمكين ليس أمنية ينالها الكسالى الذين لا يعدون للمواجهة

عدتها والمتواكلون الذين لا يلبون نداء الله وهم يدعواهم إلى الإعداد: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ١٦]. ثم هم يزعمون أنهم متواكلون عليه، وهم له عاصون ولسنته معطلون والعاملون بمساخط الله الذين لا يتوبون ولا يتطهرون.

ولكن للتمكين شروط:

فهناك الإعداد المادي الذي ينبغي أن يؤخذ بأسبابه ضمن الحد الأقصى المستطاع، وهناك الإعداد المعنوي الإيماني وهو الشرط الأساسي لتمكين أهل الحق، ومن سنة الله أن يمكّن لأهل الفضل ولو كانوا قلة ويخذل أهل الضلال ولو كانوا كثرة، فإذا استوى الطرفان في المعصية كانت الغلبة للقوة المادية.

ولذلك لا بد من الاحتكام إلى سنة التمكين لاستكشاف العوامل والأسباب التي تحول دون تحقق النصر، ولا بد من تقييم صادق للنهج، وتفحص دقيق للتربية وغربة حقيقية للصفوف:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ صدق الله العظيم.

خاتمة

وهكذا مضت سنة الله في الأمم السابقة؛ فتلك إمبراطوريات اليونان والرومان والفرس، والإمبراطوريات من بعدهم، وهذه إمبراطورية الشيوعية التي كانت بالأمس القريب أقوى إمبراطورية على وجه الأرض فمضى فيها أمر الله فتحطمت في أيام قلائل، وما كان لبشر أن يتوقع ذلك لولا أنها إرادة الله الذي يقول للشيء: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾.

إن أمة بلا فضائل أخلاقية ولا ثروة من القيم الإنسانية لا يمكن أن تستمر في قيادة البشرية.

وأية أمة تخرج عن منهج ربها وتصادم فطرتها وروحها لا يمكن أن تبقى في الوجود الحضاري.

وعندما يحل بها أمر الله - كما حل بالأمم السابقة - فإنه لن تغني عنها أموالها ودولاراتها، ولن تغني عنها صناعاتها وقوتها العسكرية.

وإنه لمن المثير للحزن والأسى أن نرى حكام العرب والمسلمين وقد استسلموا لأمريكا وسلموا قيادهم لها، فأصبحت تصول وتجول في عالمنا الإسلامي، تبشر بحضارتها الغاربة ومبادئها الهدامة ونظامها

الدولي الجديد، وتمكّن لرجالها وعملائها في المنطقة، وتسلمهم مقاليد الأمور، وتصوغ لهم الأبحاث الزائفة والبطولات المدّعاة، وتصطنع معهم الخلافات والمشكلات الموهومة ذرّاً للرماد في العيون (كما ذكر الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون في كتابه: انتهزوا الفرصة) لينخدع بذلك السذج من الجماهير والجموع المستغفلة، وتهيمن أمريكا بمخابراتها المركزية وعملائها على مقدرات وإمكانيات عالمنا الإسلامي السياسية والاجتماعية والفكرية والعلمية والفنية، وتنتشر بيننا مناهج التعليم الأمريكية، وقيم الحياة الأمريكية، والخداع والنفاق والانتهازية الأمريكية، وتغزونا المجلات والمؤلفات والمسلسلات والأفلام والأغاني والرقصات والموسيقى الأمريكية.

وصارت الأمة المنكوبة تدفع ثمن الغزو الأمريكي الشامل باهظاً من وجودها وعزتها وكرامتها.. من أخلاقها ودينها وعرضها وحياتها.. من أموالها وكنوزها وخيراتها.. وتستبدل الذي هو أدنى - من أمريكا - بالذي هو خير - من منهج الله ودينه وشريعته - وهي راضية؛ لأنها مخدرة سكرى لا تكاد تفيق.

ولتعلم أمريكا أنها تحارب الله ﷻ وتحاول منع إرادته، ولكن أحداث التاريخ البعيد والقريب تكشف لنا عاقبة من يحارب الله وإرادته. إن أمريكا الآن تعيش بداية النهاية وتسير نحو هلاكها:

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٣﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿١١٤﴾

[الأنعام: ١١٤]

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ

شَدِيدٌ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: ١٠٢]

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴿١١٦﴾

[الحج: ٤٥]

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا ﴿١١٧﴾﴾ [ق: ٣٦]

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿١١٨﴾

[الكهف: ٥٩]

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

المراجع

- ١- الولايات المتحدة طليعة الانهيار.. روجيه جارودي.
- ٢- الإسلام وأزمة الغرب.. روجيه جارودي.
- ٣- الإنسان ذلك المجهول.. ألكسيس كاريل.
- ٤- سقوط الحضارة.. كولن ولسون.
- ٥- اسمعي يا أمريكا.. جيرى فولويل.
- ٦- المسلمون والبديل الحضاري.. د. طه العلواني.
- ٧- صراع الحضارات.. صموئيل هنتنغتون.
- ٨- نهاية التاريخ.. فرانسيس فوكوياما.
- ٩- الإسلام ومشكلات الحضارة.. سيد قطب.
- ١٠- أزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة.. عمر بهاء الدين الأميري.
- ١١- مجلة لوموند ديبلوماتيك.
- ١٢- إنسانية الإنسان.. دينيه دويو.
- ١٣- السقوط من الداخل.. د. محمد سعود البشير.

الفهرس

تقديم	٥
مقدمة	٩
الأفول الحضاري الغربي	١١
صيحات الخطر	١٣
ظاهرة الانتحار في الغرب	٢١
سقوط أمريكا	٣١
١- العوامل الاقتصادية	٣٢
٢- العوامل السياسية	٤٠
٣- العوامل الثقافية والحضارية	٤٤
٤- العوامل الاجتماعية	٤٥
دراسات أمريكية تتوقع السقوط (وشهد شاهد من أهلها)	٥١

الدراسة الأولى

نحن القوة الأولى: أين تقف أمريكا وأين تسقط في النظام العالمي الجديد؟	٥٣
--	----

الدراسة الثانية

دولة بين شعبين: البيض والسود.. تميز، وانفصال، وعداء	٦٣
---	----

الدراسة الثالثة

السقوط التراجيدي.. أمريكا عام ٢٠٢٠م	٦٩
-------------------------------------	----

الدراسة الرابعة

ليست للبيع بأي ثمن.. كيف نحفظ أمريكا لأطفالنا؟	٧٥
المسلمون والبديل الحضاري	٨٣
السنن الإلهية تبشر بعودة الإسلام	٩٨
(١) سنة التداول	٩٨
(٢) سنة التدافع	١٠٠
(٣) سنة التغيير	١٠١
(٤) سنة التمكين	١٠٢
الخاتمة	١٠٥
المراجع	١٠٨
الفهرس	١١٠

سلسلة عصر الاستيقاظ



كتب للمؤلف من إصداراتنا

المصطلحات السياسية و الاقتصادية

أوراق فى التربية السياسية

مخططات تقسيم الوطن العربى و الإسلامى

العصيان المدنى.. المقاومة السلمية للطغيان

مؤسسة إقراء
للنشر والتوزيع والترجمة

الإدارة: 10 ش أحمد عمارة بجوار حديقة الفسطاط - القاهرة

ت: 25326610 محمول: 01521202472

مكتبة إقراء - الأزهر: شارع البيطار خلف الجامع الأزهر - القاهرة

ت: 25142167 محمول: 0110503367

مكتبة إقراء - جامعة القاهرة: 4 ش حلمى - بين السرايات - الجيزة

ت: 37604896 - 0110503368

iqraakotob@yahoo.com

www.iqraakotob.com